سلسلة
المرجعية حصن الأمة
-١٠-

نصائح وتوجيهات المرجعية الدينية للمقاتلين والمواقف الإنسانية

-قراءةٌ ورؤًى-

عماد الكاظمي

سلسلة
المرجعية حصن الأمة
-١٠-

نصائح وتوجيهات
المرجعية الدينية للمقاتلين
والمواقف الإنسانية
-قراءةٌ وروًى-

عماد الكاظمي

- الكتاب: نصائح وتوجيهات المرجعية الدينية للمقاتلين والمواقف الإنسانية –قراءة ورؤى–.
- المؤلف: عماد الكاظمي.
- الطبعة: الأولى.
- المطبعة: دار الرافد / قم المقدسة.
- الناشر: الكاظمية للتأليف والتحقيق والنشر.
- السنة: ١٤٤٦هـ ٢٠٢٤م.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة على النبي المصطفى الأمين، وعلى آله الهداة المعصومين ..

إنَّ الإسلام في تشريعاته المختلفة يؤكد نظامه الكامل في بناء الإنسان وتربيته في جميع مجالات الحياة، سواء على مستوى الفرد أو المجتمع، وفي جانب العبادة أو المعاملات، وفي الجانب المادي أو المعنوي، وهكذا في المجالات الأخرى التي لا يمكن حصرها بسهولة، وهذا كله يُظهر مدى عناية الله تعالى بالإنسان، بل هو نهج من مناهج تكريمه كما صرَّح بذلك في كتابه المجيد بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[1]، بل عُدَّ الإنسان من أعظم حرمات الله تعالى، وأعلن تشريعاته من أجل الحفاظ عليه من أي إساءة وخصوصًا في زهق روحه بغير حق فقال تعالى: ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾[2]، وٱستنكر بشدة ما كانت عليه عادة بعض الأعراب في تعاملهم بقسوة وظلم مع بناتهم عند ولادتهن فقال تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾[3].

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٧٠.

(٢) سورة المائدة: الآية ٣٢.

(٣) سورة التكوير: الآيتان ٨–٩.

فمن خلال ما تقدم إجمالًا نرى عظمة الإنسان عند الله تعالى ومقامه، وأهمية الحفاظ عليه من كُلِّ ٱعتداء وقهر، وإصابته بأذى، وقد تجسَّد ذلك في تعاليم الشريعة الإسلامية المقدسة في القرآن والسنَّة الشريفة بأجلى صور التكامل الإنساني على المستوى الفردي أو النوعي، في السلم أو الحرب، وبيَّن ذلك من خلال السيرة المباركة للنبي الأكرم وأهل بيته عليهم السلام، وقد جسَّدت ذلك نصائح المرجعية الدينية وتوجيهاتها للمقاتلين ضد كيان داعش الإرهابي أبهى صور التكامل الإنساني، فعُدَّت تلك النصائح العشرون من أعظم ما صدر عن المرجعية الدينية بعد الفتوى التاريخية في الدفاع الكفائي عن المقدسات، والتي رافقت ٱعتداءات ذلك الكيان الإرهابي على العراق في صفحة وحشية من صفحات الإرهاب في التاريخ الحديث.

إنَّ هذه السطور المتواضعة لهذه الصفحات[٤] التي أتشرف بكتابتها هي مشاركة لإحياء مداد العلماء ودماء الشهداء، في بيان تلك الآثار الإنسانية العظيمة التي تجلَّت في تلك التوجيهات المباركة للمرجعية الدينية إلى أبنائها، والتي كانت منهجًا تربويًّا عظيمًا للمجاهدين في التعامل مع أعداء الدين في جوانبه المختلفة، وسيتم بيان

(٤) الكتاب في الأصل بحث تمت المشاركة فيه في مؤتمر فتوى الدفاع المقدسة العلمي الدولي الخامس الذي أقامته العتبة العباسية المقدسة "جمعية العميد العلمية والفكرية" تحت شعار (المرجعية الدينية حصن الأمة الإسلامية) وبعنوان (فتاوى الدفاع المقدسة بين الماضي والحاضر تشابه الأهداف وٱختلاف الأساليب مرجع الطائفة سماحة السيد السيستاني "داك ظله الوارف" وسماحة الميرزا أبي القاسم القمي "قدس سره") بتاريخ ٢٩ ذو القعدة الحرام ١٤٤٥هـ الموافق ٧ حزيران ٢٠٢٤م.

ذلك من خلال مقدمة وتمهيد وموارد ثلاثة حيث سيتم آختيار فقرات ثلاث من تلك الفقرات العشرين الواردة وبيان من يتعلق بها بإيجاز ثم خاتمة(٥).

ولمَّا كان آهتمامي قائمًا على بيان وإظهار جزء من مواقف المرجعية في التاريخ المعاصر وما يتعلق بها، فقد جمعت هذه الصفحات؛ إكمالًا لمشروعنا سلسلة (المرجعية حصن الأمة) وهذا هو العاشر منها زلله الحمد.

أسأله تعالى الله التوفيق والتسديد لبيان جزء من هذه المرحلة التاريخية الكبيرة لمرجعية آية الله العظمى السيد علي الحسيني السيستاني "دام ظله"، والتي يتجلى فيها بحق أنَّ المرجعية الدينية حصن للأمة الإسلامية، فتقبل الله منهم بأحسن قبوله إنه سميع مجيب.

عماد الكاظمي
الكاظمية المقدسة
الأربعاء ١٠ ذو الحجة ١٤٤٥هـ
١ شباط ٢٠٢٤م

(٥) وقد فصَّلت القول في وصايا المرجعية وتوجيهاتها في كتابي (السلسبيل المعين في توجيهات المرجعية للمقاتلين) وهي قراءة موجزة في منظومة الأديب الأستاذ محمد سعيد الكاظمي ﷾ لتوجيهات المرجعية الدينية للمقاتلين في ساحات الجهاد المطبوع عام ١٤٤١هـ ٢٠٢٠م.

تمهيد:

المرجعية الدينية ودورها في حفظ المقدسات

إنَّ المرجعية الدينية تمثل الامتداد الحقيقي في زمن الغيبة لأداء رسالة المعصومين عليهم السلام بصورة عامة، في المجالات المختلفة التي تحتاجها الأمة، وقد كانت من سيرة النبي والأئمة عليهم السلام تهيئة جيل من الأصحاب وتربيتهم؛ ليؤدوا الرسالة في المجتمع، والأمثلة على ذلك كثيرة في التاريخ الإسلامية.

ولو تتبعنا الدور الكبير للمرجعية الدينية في الدفاع عن الأمة ومقدساتها في التاريخ الحديث لرأينا تلك المواقف الكبيرة لمراجع الدين العظام في العراق، والتي تحتاج إلى وقفات تأملية في تلم المواقف الكبيرة، والتي كان لبعضها تغييرًا أو أثرًا محوريًّا في الواقع السياسي والمجتمعي، فضلًا عن تصدِّيها في مسؤوليتها الأساسية ببيان ما يتعلق بالأحكام الشرعية التي يحتاجها المكلف؛ لمعرفة أحكام دين الله تعالى.

إنَّ العراق وبعد نيسان ٢٠٠٣م حيث آنهيار النظام البعثي الكافر فيه قد مرَّ بحوادث متعددة تركت آثارها المختلفة على الواقع؛ بسبب الاحتلال الأمريكي للعراق من جهة، وتدخل الدول الإقليمية من جهة ثانية، والمؤامرات التي يقوم بها أعداء أتباع أهل البيت من جهة ثالثة وخصوصًا أولئك الحاقدين الذين فقدوا تلك المناصب التي كانت ملكًا لهم ولعوائلهم في أيام ذلك النظام، فكان واحدة من تلك المتغيرات الطارئة هو ما حصل من سقوط محافظات الشمال آبتداء من الموصل عن طريق كيان داعش الإرهابي، الذي آستطاع في أيام معدودات أنْ يسيطر على مساحة كبيرة من أرض العراق بما يملك من قدرة عسكرية محدودة، وإمكانات مادية ومعنوية كبيرة من قبل الداعمين له من العراق وخارجه، مما أدى إلى تلك الفوضى الكبيرة، والتهديدات

العلنية بهتك المقدسات والمدن المقدسة، فلم يكن يقف أمام ذلك الهيجان إلا المرجعية الدينية المباركة، حيث أصدر سماحة المرجع الديني الأعلى السيد علي الحسيني السيستاني (دام ظله) فتواه التاريخية في الدفاع الكفائي بتاريخ ١٤ شعبان ١٤٣٥هـ الموافق ١٣ حزيران ٢٠١٤م، فلبَّى المؤمنون العراقيون تلبية عظيمة قلَّ نظيرها في التاريخ للدفاع عن المقدسات، فما هي إلا ساعات وقوافل المجاهدين تتواجد في المعسكرات لجهاد أولئك البغاة الحاقدين.

ولأجل أنْ تكون مواجهة أولئك المجاهدين الأبطال صورة مشرقة للإسلام المحمدي كانت المرجعية ترعى شؤون المقاتلين المعنوية والمادية من جهة، والتواصل مهم من جهة أخرى عن طريق معتمدي المرجعية وطلبتها الذين كانوا يقاتلون مع المجاهدين في ساحات القتال، فكانت واحدة من أعظم تلك التوجيهات للمرجعية الدينية هو ما صدر عنها بعنوان (نصائح وتوجيهات للمقاتلين في ساحات الجهاد) بتاريخ (٢٢ ربيع الآخر ١٤٣٦هـ الموافق ١٢ شباط ٢٠١٥م) أي بعد سبعة أشهر تقريبًا[٦] عندما ٱستطاع أولئك المجاهدون من تحرير بعض الأماكن من سيطرة ذلك الكيان، وقد تضمَّنت هذه التوجيهات عشرين فقرة، تعدُّ من عيون الوصايا العظيمة التي تُظهر عظمة النظام الإسلامي وآثاره الإنسانية في الحفاظ على الحقوق والحرمات، فكانت بمثابة دستور كامل لإدارة الحرب ومعرفة التعامل مع العدو وما يتعلق به من ممتلكات مختلفة، إذ ٱنبثقت فتوى الدفاع الكفائي من القواعد الإسلامية التي أجازت الحرب في حالة الدفاع عن النفس والدين كما قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي

(٦) نص التوجيهات كاملة على موقع السيد علي الحسيني السيستاني (دام ظله).
www.sistani.org

سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾[٧]، وإغاثة المظلومين والدفاع عن المستضعفين كما قال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ﴾[٨]، وأهداف أخرى[٩].

لقد أظهرت هذه التوجيهات مدى حرص المرجعية الدينية في بيان أحكام دين الله تعالى للمجاهدين وغيرهم في أيام الحرب من جهة، والدعم المعنوي في دعم المجاهدين من أجل تحقيق أهدافهم وتحقيق النصر من جهة ثانية، والتأسيس لقواعد السلم الأهلي وما تضمَّنه النظام الإسلامي من فقرات تدل على تكامله الإنساني من جهة ثالثة، وبيان الصورة الحقيقية للإسلام وكشف الصورة المزيَّفة التي كان عليها ذلك الكيان الإرهابي من جهة رابعة، فكان لهذه التوجيهات صدًى كبيرٌ بين أوساط المقاتلين خاصة، والمجتمع عامة، والتأكيد على سيرة الإمام علي عليه السلام باتخاذها أسوة في الحرب، بما ورد عنه من أخلاقيات تمثل روح الإسلام وحقيقته، بل تعدُّ مدرسة إسلامية في الأخلاق والتربية للمجتمع الإسلامي[١٠].

إنَّ المتتبع في تحليل نصوص هذه التوجيهات وما فيها من أحكام ووصايا وتحذير وبيان الآثار الكبيرة في الالتزام بتعاليم الشريعة المقدسة؛ ليرى جليًّا مدى موافقة تعاليم النظام الإسلامي للعقل والفطرة في التأكيد على مقام الإنسان وحفظ

(٧) سورة البقرة: الآية ١٩٠.

(٨) سورة النساء: الآية ٧٥.

(٩) ينظر: مشروعية آستخدام القوة –دراسة في ضوء الشريعة الإسلامية وأحكام ميثاق الأمم المتحدة–، د. حيدر كاظم عبد علي و د. عبد الزهرة جاسم الخفاجي، مجلة الكلية الإسلامية الجامعة، النجف الأشرف، ٢٠١٥م، العدد ٣٦، ص١٩٩-٢٠١.

(١٠) ينظر: أخلاقيات أمير المؤمنين عليه السلام في الحرب والقانون الدولي –قراءة معاصرة–، د. كاظم جواد المنذري، مجلة الكلية الإسلامية الجامعة، ٢٠١٥م، المجلد ٣، العدد ٢٣، ص٦٥-٧٩.

كيانه، وتستحق أنْ تُعنى بالبحوث والدراسات والندوات، وهذه الصفحات الموجزة محاولة في بيان زاوية من زواياها المشرقة التي لها آثارها الإنسانية التي تفقدها الحروب عامة، ولكن النظام الإسلامي وضمن دعوته العالمية في الرحمة الإلهية، فقد أسس لذلك تعاليم صريحة ظاهرة في إمكانية التكامل الإنساني في أصعب الظروف ومنها الحرب، وفيه دلالة على أنَّ هذه التعاليم دالة على دين الله تعالى الصادر من الحكيم الغني الحميد.

* **المورد الأول:**

((اللهَ اللهَ فِيْ حُرُمَاتِ عَامَّةِ النَّاسِ مِمَّن لَمْ يُقَاتِلُوْكُمْ، لَا سِيَّمَا المُسْتَضْعَفِينَ من الشُّيُوخِ وَالْوِلْدَانِ وَالنِّسَاءِ، حَتَّى إِذَا كَانُوْا مِنْ ذَوِيْ الْمُقَاتِلِيْنَ لَكُمْ، فَإِنَّهُ لا تَحِلُّ حُرُمَاتُ مَنْ قَاتَلُوْا غَيْرَ مَا كَانَ مَعَهُمْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَقَدْ كَانَ مِنْ سِيْرَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام أَنَّهُ كَانَ يَنْهَى عَنِ التَّعَرُّضِ لِبُيُوْتِ أَهْلِ حَرْبِهِ، وَنِسَائِهِمْ، وَذَرَارِيِّهِمْ، رَغْمَ إِصْرَارِ بَعْضِ مَنْ كَانَ مَعَهُ خاصَّةً من الْخَوَارِجِ – عَلَى اسْتِبَاحَتِهَا، وَكَانَ يَقُوْلُ: (حَارَبَنَا الرِّجَالُ فَحَارَبْنَاهُمْ، فَأَمَّا النِّسَاءُ وَالذَّرَارِيْ فَلَا سَبِيْلَ لَنَا عَلَيْهِمْ؛ لِأَنَّهُنَّ مُسْلِمَاتٌ وَفِيْ دَارِ هِجْرَةٍ، فَلَيْسَ لَكُمْ عَلَيْهِنَّ سَبِيْلٌ، فَأَمَّا مَا أَجْلَبُوْا عَلَيْكُمْ واسْتَعَانُوْا بِهِ عَلَى حَرْبِكُمْ، وَضَمَّهُ عَسْكَرَهُمْ وَحَوَاهُ فَهُوَ لَكُمْ، وَمَا كَانَ فِيْ دُوْرِهِمْ فَهُوَ مِيْرَاثٌ عَلَى فَرَائِضِ اللَّهِ تَعَالَى لِذَرَارِيِّهِمْ، وَلَيْسَ لَكُمْ عَلَيْهِنَّ، وَلَا عَلَى الذَّرَارِيِّ مِنْ سَبِيْلٍ))[١١].

إنَّ ما ورد في هذه الفقرة من التوجيهات المباركة تؤكد على موضوعات إنسانية متعددة يمكن إجمالها بالآتي:

١- حفظ حقوق الناس عامة.

إنَّ الحفاظ على حقوق الآخرين وعدم التعدي عليها من أسس النظام الإسلامي القائم على تكريم الإنسان، وأنَّ حفظ حقوقه هو من ملازمات ذلك التكريم الإلهي، وهذه الفقرة من التوجيهات التاريخية تؤكد ذلك، وتدعو إلى التعرُّف عليه، والتعريف به، والعمل على أساسه في جميع الأحوال، وخصوصًا في مثل هذه الحالات من الحرب، التي تقوده عصابات إجرامية تحاول باسم الدين أنْ تفتك

(١١) الفقرة الخامسة من نصائح وتوجيهات المرجعية الدينية للمقاتلين.

بالمسلمين، بل إنَّ تطبيق ذلك في مثل هذه الظروف هو أكثر تأكيدًا على عظمة هـذا النظام والمنتمين إليه، ومدى استجابتهم لتعاليمه والتزامهم بحدوده، على رغم الأسى الكبير الذي حصل من تلك العصابات، فالمرجعية تدعو إلى ضرورة أنْ تبقى تلـك المبادىء راسخة عند المجاهدين، بل تكون تعاليم الشريعة المقدسة من خلال آيات القرآن الكريم والسنَّة الشريفة حاضرة عند أولئك المدافعين عن المقدسات، حيـث تبقى دعوة القرآن قائمة في الأذهان: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[١٢]، وقولـه تعـالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَـدِينَ﴾[١٣]، وقوله تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِـرَةً مِنْـهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[١٤]، فضلًا عن الآيات المباركة التي أكدت عـلى ضرورة الالتزام بحدود الشريعة المقدسة وعدم التعدِّي عليها في مناسبات مختلفة، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾[١٥]، وقال تعـالى محـذِّرًا الانحدار إلى أعمال الظالمين: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّـهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[١٦] وغيرها من الآيات المباركة الصادحة بالدعوة إلى الحفاظ على حقوق الناس عامة، والتحذير من التعرُّض لها، فضلًا عن الاعتداء عليها.

(١٢) سورة النحل: الآية ٩٠.

(١٣) سورة البقرة: الآية ١٩٠.

(١٤) سورة البقرة: الآية ٢٦٨.

(١٥) سورة الطلاق: الآية ١.

(١٦) سورة البقرة: الآية ٢٢٩.

وهناك كثير من الروايات الشريفة الواردة في بيان أهمية حقوق الناس والحفاظ عليها، ومنها:

- روي عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم : ((إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَدَعَ مِنْ حُقُوْقِ أَخِيْهِ شَيْئًا فَيُطَالِبُهُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقْضِيْ لَهُ وَعَلَيْهِ))[١٧].

- روي عن الإمام علي عليه السلام : ((جَعَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ حُقُوْقَ عِبَادِهِ مُقَدِّمَةً لِحُقُوْقِهِ، فَمَنْ قَامَ بِحُقُوْقِ عِبَادِ اللَّهِ كَانَ ذَلِكَ مُؤَدِّيًا إِلَى الْقِيَامِ بِحُقُوْقِ اللَّهِ))[١٨].

- روي عن الإمام الصادق عليه السلام : ((حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ لَا يَشْبَعَ وَيَجُوعَ أَخُوْهُ، وَلَا يُرْوَى وَيَعْطَشَ أَخُوْهُ، وَلَا يَكْتَسِيَ وَيُعْرَى أَخُوْهُ، فَمَا أَعْظَمَ حَقِّ الْمُسْلِمِ عَلَى أَخِيْهِ الْمُسْلِمِ ....))[١٩].

إنَّ هذه الروايات وغيرها تؤكد أنَّ في الشريعة الإسلامية حقوقًا عامة بين المسلمين يجب مراعاتها، ودعوة المرجعية الدينية في توجيهاتها إلى المقاتلين إنما تنطلق من تلك الدعوات الصريحة تعاليم الشريعة الإسلامية المقدسة، وإنَّ ما ورد من التوجيهات في هذه الفقرة بخصوص الحقوق العامة للناس بالقول: ((اللهَ اللهَ فِيْ حُرُمَاتِ عَامَّةِ النَّاسِ مِمَّن لَمْ يُقَاتِلُوْكُمْ)) قد تم تأكيده في الفقرة التاسعة من التوجيهات بالقول: ((اللهَ اللهَ فِي الْحُرُمَاتِ كُلِّهَا، فَإِيَّاكُمْ وَالتَّعَرُّضَ لَهَا، أَوِ انْتِهَاكَ شَيْءٍ مِنْهَا بِلِسَانٍ

---

(١٧) وسائل الشيعة، الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، (مط ستارة، قم، ١٤١٦هـ، قم) ج١٢ ص٢١٣ باب (باب وجوب أداء حق المؤمن وجملة من حقوقه الواجبة والمندوبة) الحديث ٢٤.

(١٨) غرر الحكم ودرر الكلم، عبد الواحد الآمدي التميمي، تحقيق: السيد مهدي الرجائي، (مط ستار، الناشر دار الكتاب الإسلامي، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م) ص١٨٦.

(١٩) وسائل الشيعة ج١٢ ص٢١٣ باب (باب وجوب أداء حق المؤمن وجملة من حقوقه الواجبة والمندوبة) الحديث ٨.

أَوْ يَدٍ))، ولو تتبعنا غزوات النبي ﷺ وحروبه لرأينا أنه لم يقاتل إلا مضطرًّا لقتال، مثل رد ٱعتداء خارجي أو داخلي، أو لإحباط نية ٱعتداء وغيرهما، بل كان يدعو إلى السلم والابتعاد عن الحرب، ودراسة آدابه وتعاليمه الواردة عنه تؤكد ذلك[٢٠].

٢- مراعاة حقوق المستضعفين.

إنَّ هذا الحق الخاص بالمستضعفين يعد من الحقوق المهمة التي قد تضمَّنها النظام الإسلامي بوجوب حفظها ورعايتها في السلم والحرب، ومحاولة بذل كُلِّ جهد من أجل عدم إيصال أي أذًى إليهم، بل دعوة المسلمين لقتال أعداء الله لأجل إنقاذ حقوقهم، وهذا ما أكد عليه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾[٢١]، فالله تعالى يدعو عباده لنصرة المستضعفين من عباده الذين آمنوا (الرجال، والنساء، والأطفال) وعدم الضرر بحياتهم وما يتعلق بهم، بل الجهاد من أجل خلاصهم، وقد بيَّن المفسرون هذه الدعوة القرآنية وأهميتها في الحث على الجهاد؛ لأجل حفظهم والدفاع عنهم.

قال الشيخ الطبرسي (ت٥٤٨هـ/١١٥٣م): ((حَثَّ سبحانَهُ على تخليصِ المستضعفينَ فقال ﴿وَمَا لَكُمْ﴾ أيُّها المؤمنونَ ﴿لَا تُقَاتِلُونَ﴾ أيْ: أيُّ عذرٍ لكم في تركِ القتالِ مع ٱجتماعِ الأسبابِ الموجبَةِ للقتالِ ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أيْ في طاعةِ اللهِ، ويقالُ: في دينِ اللهِ، ويقالُ: في نصرةِ دينِ اللهِ، ويقالُ: في إعزازِ دينِ اللهِ و إعلاءِ

(٢٠) ينظر: آداب الرسول ﷺ وتعاليمه في الغزوات، مجلة دراسات تربوية، جامعة السليمانية، كلية العلوم الإسلامية، تشرين الأول ٢٠١٧م، المجلد ١٠، العدد ٤٠، ص٢٣٣-٢٣٤.

(٢١) سورة النساء: الآية ٧٥.

كلمتِهِ، ﴿وَالْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ أيْ: وفي المستضعفينَ، أو في سبيلِ المستضعفينَ، أيْ نصرةُ المستضعفينَ، وقيلَ: في إعزازِ المستضعفينَ، وفي الذبِّ عن المستضعفينَ ﴿مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ﴾ قيلَ: يريدُ بذلكَ قومًا من المسلمينَ بَقَوْا بمكةَ ولم يستطيعوا الهجرةَ .. إلخ))[٢٢].

وقال الفخر الرازي (ت٦٠٦هـ/١٢٠٩م): ((قوله: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ﴾ يدلُّ على أنَّ الجهادَ واجبٌ، ومعناه: أنَّهُ لا عذرَ لكم في تركِ المقاتلةِ وقد بلغَ حالُ المستضعفينَ من الرجالِ والنساءِ والولدانِ من المسلمينَ إلى ما بلغَ في الضعفِ، فهذا حَثٌّ شديدٌ على القتالِ، وبيانُ العلَّةِ التي لها صارَ القتالُ واجبًا، وهو ما في القتالِ من تخليصِ هؤلاءِ المؤمنينَ من أيدي الكفرةِ؛ لأنَّ هذا الجمعَ إلى الجهادِ يجري مجرى فكاكِ الأسيرِ .. إلخ))[٢٣].

فتوجيهات المرجعية الدينية إلى المجاهدين بعدم التعرُّض إلى المستضعفين من (الشيوخ والنساء والولدان) إنما ينبثق من التعاليم القرآنية التي تدعو إلى نصرتهم والجهاد في سبيلهم، وقد أكدت الروايات الشريفة الواردة في بيان آداب الحرب وما يتعلق بها التحذير من إيذائهم، أو إدخال الرعب عليهم، فمما روي عن رسول اللهﷺ: ((لَا تَقْتُلُوْا شَيْخًا فَانِيًا، وَلَا طِفْلًا صَغِيرًا، وَلَا ٱمْرَأَةً ، وَلَا تَغْلُّوْا، وَضُمُّوْا

(٢٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، علي الفضل بن الحسن، تحقيق: لجنة من العلماء والمحققين، تقديم: السيد محسن الأمين العاملي، (مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م) ج٣ ص١٣٢.

(٢٣) التفسير الكبير، محمد بن عمر بن الحسين، تصحيح: مكتب تحقيق دار إحياء التراث العربي، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٤، ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م) ج١٠ ص١٤١.

غَنَائِمَكُمْ، وَأَصْلَحُوْا وَأَحْسَنُوْا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ اَلْمُحْسِنِيْنَ))[٢٤]، وعنه ﷺ: ((مَا بَالُ أَقْوَامٍ جَاوَزَ بِهُمُ الْقَتْلُ الْيَوْمَ حَتَّى قَتَلُوْا الذَّرِّيَّةَ، أَلَا إِنَّ خِيَارَكُمْ أَبْنَاءَ الْمُشْرِكِيْنَ، أَلَا لَا تَقْتُلُوْا ذَرِّيَّةً، أَلَا لَا تَقْتُلُوْا ذَرِّيَّةً، كُلُّ نَسَمَةٍ تُوْلَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَمَا تَزَالُ عَلَيْهَا حَتَّى يُعْرِبَ عَنْهَا لِسَانُهَا، فَأَبَوَاهَا يُهَوِّدَانِهَا أَوْ يُنَصِّرَانِهَا))[٢٥]، وبذلك نرى أنَّ قتال الرسول ﷺ إنما كان من أجل تثبيت دعائم الإسلام، وترسيخه أسسه في المجتمع، فكان يدعو إلى التقوى في الحرب، وتجنُّب ٱرتكاب الحرام في القتال، وتحريم قتل الأبرياء، والمثلى، وتدمير المدن أو قطع الأشجار وغيرها[٢٦].

فالمرجعية كانت تؤكد على ضرورة أنْ يتحلى المجاهدون بهذه العقيدة والأخلاق الإسلامية؛ لأنَّ الحرب هي في الواقع دفاع عن المقدسات الإسلامية، ولا بد أنْ تكون على وفق ما تضمنته تعاليم الشريعة من أنظمة في ذلك، فكان التوجيه في أعلى درجات الكمال التربوي والأخلاقي في تربية وإعداد المجاهدين، وقد تلخصت بما يأتي:

أ- عدم التعرُّض للمستضعفين بأي سوءٍ أو أذًى، بل الحفاظ عليهم ومحاولة تكريمهم بما يسمح به ظرف المعركة.

---

(٢٤) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علي بن حسام الدين المتقي الهندي، ضبطه: الشيخ بكري حياني، صححه: الشيخ صفوة السقا، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م، د.ط) ج٤ ص٣٨٢ الحديث ١١٠١٣.

(٢٥) المصدر نفسه الحديث ١١٠١٤.

(٢٦) ينظر: أخلاقيات أمير المؤمنين عليه السلام في الحرب والقانون الدولي ص٧٠.

ب– عدم الانجرار وراء العاطفة، أو العصبية التي تؤثر على نفوس المقاتلين؛ كون هؤلاء المستضعفين من عوائلهم الإرهابيين الذين أفسدوا في الأرض، أو مقابلة أفعال الإرهابيين بعوائل المؤمنين بالمثل.

ت– التأكيد على ضرورة أنْ تكون جميع الأفعال صادرة وفق تعاليم الشريعة المقدسة في حفظ الحقوق وعدم التعدي على الحرمات، وإنْ ذلك يحتاج إلى جهاد كبير للنفس، وتحمُّل آثار ذلك(٢٧).

ث– التأكيد على أهمية إظهار تعاليم الشريعة المقدسة من قبل المجاهدين واقعًا، وليس ٱدِّعاءً وزيفًا كما كان عليه أولئك الإرهاربيون.

إنَّ تجنُّب كُلَّ ما تقدَّم لأجل عدم الإفساد في الأرض بالتعدي على الحرمات، وهذا ما يراه الإنسان جليًّا عندما يطَّلع على تلك الروايات المتعددة التي تؤكد أنَّ الحرب تهدف إلى القضاء على الإفساد، وليس القيام به.

وهذا ما تم تأكيده بالقول: ((لَا سِيَّمَاالمُسْتَضْعفِين َمن َالشُّيُوخِ وَالْوِلْدَانِ وَالنِّسَاءِ، حَتَّى إِذَا كَانُوْا مِنْ ذَوِيْ الْمُقَاتِلِيْنَ لَكُمْ، فَإِنَّهُ لا تَحِلُّ حُرُمَاتُ مَنْ قَاتَلُوْا غَيْرَ مَا كَانَ مَعَهُمْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ)).

---

(٢٧) من الذكريات التي سمعتها من قبل أحد المجاهدين في فرقة الإمام علي عليه السلام القتالية عند زيارتنا إياهم في أول زيارة لوفد العتبة الكاظمية المقدسة للمجاهدين إلى محافظة صلاح الدين قضاء بلد ومناطق أخرى بتاريخ ٢٠١٤/٢/١م قوله إننا نواجه مشكلة كبيرة من قبل بعض الأهالي للمناطق المحررة، فبعد أنْ يتم تحرير تلك المناطق وإعادة أهلها إليها تبدأ الخيانة من بعضهم تجاه المجاهدين في الليل من الخلف، وقد أعطينا بسبب ذلك عدد من الشهداء، وهذا يجعلنا مجبورين في بعض الأوقات بعدم السماح لهم بالرجوع إلى حين!!

٣- التأكيد على سيرة الإمام علي عليه السلام في التعامل معهم.

إنَّ تأكيد المرجعية الدينية في عدد من فقرات توجيهاتها إلى المجاهدين على سيرة الإمام علي عليه السلام وتعامله في الحروب الثلاثة التي حدثت تجاهه من قبل (الناكثين والقاسطين والمارقين) إنما هو إشارة واضحة إلى أنَّه عليه السلام قد وضع للمسلمين أسس قتال البغاة والأحكام المتعلقة بذلك، فضلًا عن توصياته الخاصة للمقاتلين تجاه العدو وممتلكاتهم، وجميع ما ورد عنه يؤكد عظمة تعاليم الشريعة الإسلامية المقدسة الإنسانية في الحرب، وعمَّا هو في السلم، ومَنْ يتتبع تلك الخطب والوصايا الواردة عنه يرى أثر النظام الإسلامي في ذلك.

وعند الإحصاء والتتبع فقد ورد التذكير بسيرة الإمام علي عليه السلام في موارد متعددة في هذه التوجيهات بلغت (إحدى عشرة) فقرة كالآتي:

أ- الفقرة الرابعة: ((وقد جاء في سيرة أمير المؤمنين عليه السلام شدَّة احتياطه في حروبه في هذا الأمر، وقد قال في عهده لمالك الأشتر ..)).

ب- الفقرة الخامسة: ((وقد كان من سيرة أمير المؤمنين عليه السلام أنَّه كان ينهى عن التعرُّض لبيوت أهل حربه، ونسائهم، وذراريهم، رغم إصرار بعض مَنْ كان معه..)).

ت- الفقرة السادسة: ((واستفاضت الآثار عن أمير المؤمنين عليه السلام نهيه عن تكفير عامة أهل حربه -كما كان يميل إليه طلائع الخوارج في معسكره-، بل كان يقول إنهم قوم وقعوا في الشبهة..)).

ث- الفقرة السابعة: ((وقد جاء في سيرة أمير المؤمنين عليه السلام أنه لما بعث معاوية "سفيان بن عوف من بني غامد" لشن الغارات على أطراف العراق ..)).

ج- الفقرة الثامنة: ((وجاء في سيرة أمير المؤمنين عليه السلام أنه نهى أنْ يُستحلَّ من أموال من حاربه إلَّا ما وجد معهم وفي عسكرهم ..)).

ح– الفقرة التاسعة: ((وقد جاء عـــن أمير المؤمنين عليه السلام أنَّه قال في خطبة له في وقعة صفِّين في جملة وصاياه : ولا تمثِّلوا بقتيل ..)).

خ– الفقرة العاشرة: ((وقد جاء في سيرة أمير المؤمنين عليه السلام أنَّه جعل لأهل الخلاف عليه ما لســـائر المســـلمين ما لم يحـــاربوه، ولم يبدأهم بالحرب حتى يكونوا هـــم المبتدئين بالاعتداء ..)).

د– الفقرة الحادية عشرة: ((وقد جاء في بعض الحديث عن الصادق عليه السلام أنَّ الإمـــام عليًّا عليه السلام في يوم البصرة لما صَلا الخيول قال لأصحابه : لا تعجلوا على القوم حتـــى أعذر فيما بيني وبين الله وبينهم ..)).

ذ– الفقرة الثالثة عشرة: ((ففي الحديث أنَّه لما كان يوم الجمل وبرز الناس بعـــضهم لبعض نادى منادى أمير المؤمنين: لا يبدأ أحدٌ منكم بقتالٍ حتى آمركم ..)).

ر– الفقرة الخامسة عشرة: ((وقد ورد في سيرة أمـــير المـــؤمنين وصـــيته بالـــصلاة لأصحابه، وفي الخبر المعتبر عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال في صلاة الخـــوف عنـــد المطاردة والمناوشة .... فإنَّ أمير المؤمنين عليه السلام صلى ليلـــة صـــفِّين –وهـــي ليلـــة الهرير..)).

ز– الفقرة السادسة عشرة: ((واستعينوا على أنفسكم بكثرة ذكر الله سبحانه وتـــلاوة كتابه، واذكروا لقاءكم به ومنقلبكم إليه، كما كان عليه أمير المؤمنين عليه السلام ..)).

ومما لا يخفى أنَّ استذكار سيرة الإمام علي عليه السلام في هذا الجانب يمكن قراءته من جهتين مهمتين: الأولى تتعلق بالإمام عليه السلام، والأخرى: تتعلق بأتباعه وشيعته.

أما الجهة الأولى فلأجل البيان والتذكير بما يأتي:

أ- شدة تعامل الإمام علي عليه السلام مع المقاتلين في وجوب الالتزام بتعاليم الشريعة المقدسة، ومنها ما يتعلق بالأموال الخاصة بالذين يقاتلوهم من البُغاة.

ب- بيان ما يتعلق بالغنائم في المعركة وما ورد فيها من أحكام خاصة، إذ يجب على المقاتلين معرفتها أو الرجوع فيها إلى العلماء لمعرفة أحكام ذلك، والمعروف بـ(الفيء)، وله أحكام ذكرها الفقهاء في مؤلفاتهم الفقهية[٢٨].

ت- الإشارة إلى منهج الإمام علي عليه السلام الثابت في تعامله بما يتعلق بالأموال، ورد الحقوق إلى أهلها، وما ورد عنه كلمته الشهيرة حول الأموال التي وزَّعها عثمان: ((وَاللهِ لَوْ وَجَدْتُهُ قَدْ تُزُوِّجَ بِهِ النِّسَاءُ وَمُلِكَ بِهِ الْإِمَاءُ لَرَدَدْتُهُ، فَإِنَّ فِي الْعَدْلِ سَعَةً، وَمَنْ ضَاقَ عَلَيْهِ الْعَدْلُ فَالْجَوْرُ عَلَيْهِ أَضْيَقُ))[٢٩].

وأما الجهة الأخرى فلأجل البيان والتذكير بما يأتي:

أ- الدعم المعنوي الكامل للمقاتلين على أنَّ جهادهم ضد هذا الكيان الإرهابي الخارج عن الإسلام، والمتعدي على حرماته، إنما هو تأسٍّ تامٍّ بالإمام علي عليه السلام، وفي ذلك كمال القوة المعنوية للمجاهدين في دفاعهم عن المقدسات.

---

(٢٨) ينظر: شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام، الشيخ جعفر بن الحسن المحقق الحلي، تعليق: السيد صادق الشيرازي، (دار القارىء، بيروت، ط١١، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م) ج١ ص٢٤٤-٢٤٩.

(٢٩) نهج البلاغة، محمد بن الحسين الشريف الرضي، شرح: محمد عبده، (مط الاستقامة، مصر، د.ط، د.ت) ج١ ص٤٦.

ب- التأكيد من قبل المرجعية على أنَّ ما كتب الله تعالى من النصر التاريخي الخالد للإمام علي عليه السلام ضد أولئك البغاة على المقدسات، إنما هو ما سيكتبه الله تعالى لهؤلاء المجاهدين في معركتهم ضد كيان داعش الإرهابي.

ت- محاولة المرجعية بهذه التوجيهات أنْ تجعل المجاهدين وكأنهم يقاتلون تحت راية الإمام علي عليه السلام، وهي راية الحق وراية الإسلام المحمدي، وما في ذلك من قوة معنوية كبيرة لها أثر في النصر وديمومة القتال.

ولو تأملنا في توجيهات المرجعية الدينية في هذه الفقرة والتذكير بضرورة التأسي بما قام به أمير المؤمنين عليه السلام تجاه العدو، ووصاياه لمقاتليه وبيان المنهج الإسلامي في ذلك، لرأينا أنها تركِّز على موضوعات أساسية ثلاثة لها علاقة بمقاتلة كيان داعش الإرهابي وهي:

أ- الممتلكات الشخصية للإرهابيين.

ب- الممتلكات الخاصة بالحرب.

ت- عوائل الإرهابيين من النساء والأطفال.

فالتوجيهات المباركة في الموضوعات الثلاثة المتقدمة كانت واضحة الأحكام والبيان، حيث كانت يمكن الإفادة منها بالآتي:

أ- إنَّ الممتلكات الشخصية الخاصة بالإرهابيين والتي تم الحصول عليها فهي تابعة لهم ولذراريهم، ولا يجوز التصرف بها، بل تعود إلى أصحابها أو ورثتهم الشرعيين، وهذا ما أكدته بالقول: ((وَمَا كَانَ فِيْ دُوْرِهِمْ فَهُوَ مِيْرَاثٌ عَلَى فَرَائِضِ اللَّهِ تَعَالَى لِذَرَارِيِّهِمْ، وَلَيْسَ لَكُمْ عَلَيْهِنَّ، وَلَا عَلَى الذَّرَارِيِّ مِنْ سَبِيْلٍ)).

وقد أكدت المرجعية ذلك في فقرة أخرى لأهميته وهي الفقرة الثامنة حيث ورد فيها: ((اللهَ اللهَ فِيْ أَمْوَالِ النَّاسِ، فَإِنَّهُ لا يَحِلُّ مَالَ ٱمْرِئٍ مُسْلِمٍ لِغَيْرِهِ إِلَّا بِطِيْبِ نَفْسِهِ،

فَمَنْ ٱسْتَوْلَى عَلَى مَالِ غَيْرِهِ غَصْبًا فَإِنَّمَا حَازَ قِطْعَةً مِنْ قِطَعِ النِّيْرَانِ ، وَقَدْ قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ وَفِيْ الْحَدِيْثِ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم أَنَّهُ قَالَ: (مَنِ ٱقْتَطَعَ مَالَ مُؤْمِنٍ غَصْبًا بِغَيْرِ حَقِّهِ لَمْ يَزَلِ اللَّهُ مُعْرِضًا عَنْهُ مَاقِتًا لِأَعْمَالِهِ الَّتِيْ يَعْمَلُهَا مِنَ الْبِرِّ وَالْخَيْرِ لَا يُثْبِتُهَا فِيْ حَسَنَاتِهِ، حَتَّى يَتُوْبَ وَيَرُدَّ الْمَالَ الَّذِيْ أَخَذَهُ إِلَى صَاحِبِهِ)))[٣٠].

ب- إنَّ الممتلكات الخاصة بالحرب والتي كانت من أدواتهم التي ٱستعانوا بها في القتال من سلاح وغيره، وكان موجودًا في مقرِّ وجودهم أو معسكرهم حصرًا، فإنه يمكن أخذه ومصادرته والتصرف به على وفق أحكام معينة مذكورة في الكتب الفقهية، وهذا ما أكدته بالقول: ((فَأَمَّا مَا أَجْلَبُوْا عَلَيْكُمْ وٱسْتَعَانُوْا بِهِ عَلَى حَرْبِكُمْ، وَضَمَّهُ عَسْكَرَهُمْ وَحَوَاهُ فَهُوَ لَكُمْ))، فهناك تأكيد على ذلك بالخصوص وليس مطلق ما تم حصوله بل الذي ((وَضَمَّهُ عَسْكَرَهُمْ وَحَوَاهُ فَهُوَ لَكُمْ))، وفي ذلك كمال التقوى والورع الذي يجب أنْ يكون عليه المجاهدون في سبيل الله[٣١]، وورد التأكيد على ذلك في فقرات أخرى بالقول: ((وَلَا تَدْخُلُوْا دَارًا، وَلَا تَأْخُذُوْا شَيْئًا مِنْ أَمْوَالِهِمْ، إِلَّا مَا وَجَدْتُمْ فِيْ عَسْكَرِهِمْ)).

ت- إنَّ عوائل الإرهابيين يجب أن تتم المحافظة عليهم، وعدم إيذائهم أو مسهم بسوء؛ اعتمادًا بما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام وكما تقدم الحديث عن المستضعفين،

---

(٣٠) الفقرة الثامنة من نصائح وتوجيهات المرجعية الدينية للمقاتلين.

(٣١) ما أعظم هذه التوجيهات في هذه الفقرة القائمة على مدى التكامل الإيماني والإنساني الذي كانت تدعو إليه تعاليم الشريعة الإسلامية المقدسة، وتؤكده المرجعية الدينية المباركة في مناسبات مختلفة، ولكن ما أبشع تلك الجرائم التي قام بها ذلك الكيان وأقبحها، والتي كانت صفحة سوداء لأولئك البغاة.

حيث الحديث: ((حَارَبَنَا الرِّجَالُ فَحَارَبْنَاهُمْ، فَأَمَّا النِّسَاءُ وَالذَّرَارِيْ فَلَا سَبِيْلَ لَنَا عَلَيْهِمْ؛ لِأَنَّهُنَّ مُسْلِمَاتٌ وَفِيْ دَارِ هِجْرَةٍ، فَلَيْسَ لَكُمْ عَلَيْهِنَّ سَبِيْلٌ))، وقد أكدت المرجعية ذلك في الفقرة التاسعة من توجيهاتها بالقول: ((وَٱحْذَرُوْا أَخْذَ ٱمْرِئٍ بِذَنْبِ غَيْرِهِ، فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَقُوْلُ: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾، وَلا تَأْخُذُوْا بِالظِّنَّةِ وَتُشَبِّهُوْهُ عَلَى أَنْفِسِكُمْ بِالْحَزْمِ، فَإِنَّ الْحَزْمَ ٱحْتِيَاطُ الْمَرْءِ فِيْ أَمْرِهِ، وَالظِّنَّةُ ٱعْتِدَاءٌ عَلَى الْغَيْرِ بِغَيْرِ حُجَّةٍ، وَلَا يَحْمِلَنَّكُمْ بُغْضُ مَنْ تَكْرَهُوْنَهُ عَلَى تَجَاوُزِ حُرُمَاتِهِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾))، فكان يؤكد على المقاتلين عدم التعدِّي على النساء أبدًا ووجوب تحمُّل ما يصدر عنهنَّ، وهذا ما كان منهجه وسيرته في معاركه وما ورد عنه في معركة الجمل يظهر هذا المنهج، إذ يقول كما ورد عنه في فقرة أخرى: ((وَلَا تَهِيْجُوْا ٱمْرَأَةً بِأَذًى وَإِنْ شَتَمْنَ أَعْرَاضَكُمْ، وَسَبَبْنَ أُمَرَاءَكُمْ وَصُلَحَاءَكُمْ، وَقَدْ وَرَدَ أَنَّهُ عليه السلام فِيْ حَرْبِ الْجَمَلِ –وَقَدِ ٱنْتَهَتْ– وَصَلَ إِلَى دَارٍ عَظِيْمَةٍ فَاسْتَفْتَحَ، فَفُتِحَتْ لَهُ، فَإِذَا هُوَ بِنِسَاءٍ يَبْكِيْنَ بِفَنَاءِ الدَّارِ، فَلَمَّا نَظَرْنَ إِلَيْهِ صِحْنَ صَيْحَةً وَاحِدَةً، وَقُلْنَ هَذَا قَاتِلُ الْأَحِبَّةِ، فَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا، وَقَالَ بَعْدَ ذَلِكَ لِبَعْضِ مَنْ كَانَ مَعَهُ مُشِيرًا إِلَى حُجُرَاتٍ كَانَ فِيهَا بَعْضُ رُؤُوْسِ مَنْ حَارَبَهُ وَحَرَّضَ عَلَيْهِ كَمَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ: لَوْ قَتَلْتُ الْأَحِبَّةَ لَقَتَلْتُ مَنْ فِيْ هَذِهِ الْحُجْرَةِ)).

إنَّ هذا المنهج هو منهج ثابت في سيرة أمير المؤمنين عليه السلام، وقد ٱشتهر به على مدى تاريخه في التصريح به، والعمل على أساسه، فقد ورد عنه قوله: ((إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ دَلَّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيْمٍ .... وَلَا تُمَثِّلُوْا بِقَتِيْلٍ، وَإِذَا وَصَلْتُمْ إِلَى رِجَالِ الْقَوْمِ فَلَا تَهْتِكُوْا سِتْرًا، وَلَا تَدْخُلُوْا دَارًا، وَلَا تَأْخُذُوْا شَيْئًا مِنْ أَمْوَالِهِمْ، إِلَّا مَا

وَجَدْتُمْ فِيْ عَسْكَرِهِمْ))[٣٢]، **وورد عنه عليه السلام: ((فَإِذَا كَانَتِ اَلْهَزِيْمَةُ بِإِذْنِ اللَّهِ فَلاَ تَقْتُلُوا مدْبِراً، و لاَ تصُيبوُاْ معُوْراً، و لاَ تجُهْزِوُاْ علىَ جرَيحٍ ، وَ لَا تُهِيْجُوا النِّسَاءَ بِـأَذًى، وَ إِنْ شَتَمْنَ أَعْرَاضَكُمْ وَسَبَبْنَ أُمَرَاءَكُمْ))**[٣٣].

(٣٢) الكافي، الشيخ محمد بن يعقوب الكليني، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، (دار الكتب الإسلامية، طهران، ط٣، ١٣٨٨هـ) ج٥ ص٣٩ باب (الدعاء إلى الإسلام قبل القتال) الحديث٤.

(٣٣) نهج البلاغة ج٣ ص١٥.

* **المورد الثاني:**

((وَإِيَّاكُمْ وَالتَّعَرُّضَ لِغَيْرِ الْمُسْلِمِيْنَ أَيًّا كَانْ دِيْنُهُ وَمَذْهَبُهُ فَإِنَّهُمْ فَـيْ كَنَـفِ الْمُسْلِمِيْنَ وَأَمَانِهِمْ، فَمَنْ تَعَرَّضَ لِحُرُمَاتِهِمْ كَانَ خَائِنًا غَادِرًا، وَإِنَّ الْخِيَانَةَ وَالْغَدْرَ لَهِيَ أَقْبَحُ الْأَفْعَالِ فِيْ قَضَاءِ الْفِطْرَةْ وَدِيْنِ الله سُبْحَانَهُ، وَقَدْ قَالَ عَزَّ وَجَلَّ فِيْ كِتَابِهِ عَنْ غَيْرِ الْمُسْلِمِيْنَ: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾، بَلْ لَا يَنْبَغِيْ أَنْ يَسْمَحَ الْمُسْلِمُ بِانْتِهَاكِ حُرُمَاتِ غَيْـرِ الْمُسْلِمِيْنَ مِمَّنْ هُمْ فِيْ رِعَايَةِ الْمُسْلِمِيْنَ، بَلْ عَلَيْهِ أَنْ تَكُوْنَ لَهُ مِنَ الْغِيْـرَةِ عَلَيْهِمْ مِثْلَ مَا يَكُوْنُ لَهُ عَلَى أَهْلِهِ، وَقَدْ جَاءَ فِيْ سِيْرَةِ أَمِيْرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام أَنَّهُ لَمَّا بَعَثَ مُعَاوِيَةُ "سُفْيَانَ بْنَ عَوْفٍ مِنْ بَنِيْ غَامِدَ" لِـشَنِّ الْغَـارَاتِ عَلَـى أَطْرَافِ الْعِرَاقِ –تَهْوِيْلًا عَلَى أَهْلِهِ– فَأَصَابَ أَهْلَ الْأَنْبَارِ مِـنَ الْمُـسْلِمِيْنَ وَغَيْرِهِمْ، اغْتَمَّ أَمِيْرُ الْمُؤْمِنِيْنَ عليه السلام مِنْ ذَلِكَ غَمًّا شَدِيْدًا، وَقَالَ فِيْ خُطْبَةٍ لَهُ: وَهَذَا أَخُوْ غَامِدَ قَدْ وَرَدَتْ خَيْلُهُ الْأَنْبَارَ وَقَدْ قَتَلَ حَسَّانَ بْنَ حَسَّانِ الْبَكْرِيِّ، وَأَزَالَ خَيْلَكُمْ عَنْ مَسَالِحِهَا، وَلَقَدْ بَلَغَنِيْ أَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ كَانَ يَدْخُلُ عَلَى الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ، وَالْأُخْرَى الْمُعَاهَدَةِ فَيَنْتَزِعُ حِجْلَهَا قُلُبَهَا وَقَلَائِدَهَا ورَعَاثَهَا مَا تَمْتَنِعُ مِنْهُ إِلَّا بِالاسْتِرْجَاعِ وَالاسْتِرْحَامِ، ثُمَّ انْصَرَفُوْا وَافِرِيْنَ، مَا نَالَ رَجُلًا مِنْهُمْ كَلِمٌ، وَلَا أُرِيْقَ لَهُمْ دَمٌ، فَلَوْ أَنَّ امْرِءً مُسْلِمًا مَاتَ مِنْ بَعْدِ هَذَا أَسَفًا مَا كَانَ بِهِ مَلُوْمًا، بَلْ كَانَ بِهِ عِنْدِيْ جَدِيْرًا))[٣٤].

(٣٤) الفقرة السابعة من نصائح وتوجيهات المرجعية الدينية للمقاتلين.

إنَّ ما ورد في هذه الفقرة من التوجيهات المباركة تؤكد على موضوعات إنسانية متعددة تجاه أصحاب الديانات والقوميات الأخرى خاصة يمكن إجمالها بالآتي:

١- الحفاظ على أتباع الديانات الأخرى.

إنَّ الحفاظ على التعايش السلمي بين أبناء المجتمع من الديانات والمذاهب والقوميات المختلفة يعد من أهم وصايا المرجعية الدينية، ولها في ذلك تاريخ كبير ومهم في الحفاظ على ذلك، وخصوصًا في أيام الحرب، وهذا ما رأيناه في بيانات المرجعية في ثورة العشرين، حيث وصايا المرجع الديني الشيخ محمد تقي الشيرازي قدس سره **(ت١٣٣٨هـ/١٩٢٠م) مثلًا[٣٥]، وما ورد عن سماحة السيد السيستاني**

(٣٥) منها: كتابه قدس سره إلى الحاج جعفر أبي التمن رحمه الله ورد فيه: ((هذا وإنَّنا نوصيكم أنْ تراعوا قواعد الدين الحنيف، والشرع الشريف .... وأنْ تحفظوا حقوق مواطنيكم الكتابيين الداخليين إلى ذمة الإسلام، وأنْ تستمروا على رعاية الأجانب الغرباء، وتصونوا نفوسهم وأموالهم، وأعراضهم، محترمين كرامة شعائرهم الدينية، كما أوصانا بذلك نبينا الأكرم صلى الله عليه وآله)). المواقف المشتركة لعلماء العراق وإيران ضد الغزو الأجنبي للبلاد الإسلامية ١٩٠٥–١٩٢٠م دراسة تاريخية وثائقية، الدكتور كامل سلمان الجبوري، (مجمع الذخائر الإسلامية، قم، ط١، ٢٠١٤م) ج٢ ص٣٢٨.

وكتابه إلى الرؤساء والزعماء والأشراف والأفراد في كافة أنحاء العراق: ((فإنَّ إخوانكم المسلمين في بغداد والكاظمية والنجف وكربلاء وغيرها من أنحاء أماكن العراق، قد اتفقوا فيما بينهم على الاحتجاج بمظاهرات سلمية .... وأوصيكم بالمحافظة على جميع الملل والنحل التي في بلادكم، في نفوسهم وأعراضهم وأموالهم، ولا تنالوا واحدًا منهم بسوء أبدًا، وفقكم الله لمراضيه)). المواقف المشتركة ٢/٣٣١

(دام ظله) في الفتاوى والبيانات المختلفة المتعددة مثلًا[٣٦]، وهذا ما ورد جليًّا في هذه الفقرة من التوجيهات: ((وَإِيَّاْكُمْ وَالتَّعَرُّضَ لِغَيْرِ الْمُسْلِمِيْنَ أَيًّا كَانْ دِيْنُهُ وَمَذْهَبُهُ فَإِنَّهُمْ فَيْ كَنَفِ الْمُسْلِمِيْنَ وَأَمَانِهِمْ)).

٢- بيان آثار التعرض بأذى لأتباع الديانات.

إنَّ هذا الأمر في هذه الفقرة من توجيهات المرجعية يبيِّن للمقاتلين الآثار السلبية في مخالفة تعاليم الشريعة المقدسة في حفظ حقوق المخالفين في الدين أو المذهب أو القومية، إذ يعد ذلك خيانة وغدرًا، وقد حذرت الشريعة من ذلك.

فالقرآن الكريم قد نهى عن الخيانة بصورة عامة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٣٧]، وكذلك الروايات

---

(٣٦) منها: جواب ٱستفتاء ورد فيه: ((ونؤكِّدُ أنَّ الدفاعَ عَنِ الوطنِ ومقدساتِهِ لا ينسجِمُ مع الاعتداءِ على أيِّ مواطِنٍ مهما كان ٱنتماؤُهُ القومِيُّ، أو المذهبيُّ، أو السياسيُّ، نطالبُ الأجهزةَ الحكوميةَ المعنيةَ أنْ تضربَ بيدٍ من حديدٍ على أيِّ متجاوزٍ على أموالِ المواطنينَ وحقوقِهِم....)). من جواب ٱستفتاء رقم ٢٨٠١٧٢ بتاريخ ١٤٣٦/٣/١١هـ حول قيام بعض بأعمال غير صحيحة. ينظر: موقع السيد السيستاني www.sistani.org

وفي بيان آخر: ((أَهَمِّيَّةُ تَرْسِيْخِ السَّلَامِ وَالْمَحَبَّةِ وَالتَّعَايُشِ السِّلْمِيِّ، وَإِنَّهُ عَلَى رَأْسِ أَوْلَوِيَّاتِهِ، وَإِنَّ تِكْرَارَ هَذَا الْأَمْرِ كَانَ فِيْ كُلِّ خُطَبِ الْجُمُعَةِ فِيْ كَرْبَلَاءَ مِنْ قِبَلِ مُمَثِّلِيْنَا، وَقَدْ تَبَنَّيْنَا فِي الْفَتْوَى عَامَ ٢٠١٤م وَلِحَدِّ الْآنَ، وَٱسْتِمْرَارُ حَمَلَاتِ الدَّعْمِ الْخَاصَّةِ بِالنَّازِحِيْنَ، وَمِنْ خِلَالِ الْفِرَقِ الْخَاصَّةِ الْمُكَلَّفَةِ لِلْمُسَاعَدَةِ فِي الْمَنَاطِقِ الْمُحَرَّرَةِ لِتَقْدِيْمِ الْمَعُوْنَةِ وَتُرْسَلُ لَهُمْ رِسَالَةً بِأَنَّنَا أَبْنَاءُ مُجْتَمَعٍ وَشَعْبٍ وَاحِدٍ، وَيَجِبُ أَنْ نَعِيْشَ مُتَآخِيْنَ وَمُتَحَابِّيْنَ)). موقع السيد السيستاني، لقاء مقررة الأمم المتحدة السيدة اغنيس كالامارد سماحة السيد السيستاني في النجف الأشرف الثلاثاء ٢٠١٧/١١/٢١م. ينظر: موقع السيد السيستاني www.sistani.org

(٣٧) سورة الأنفال: الآية ٢٧.

الشريفة التي أكدت على ضرورة أنْ يجتب المسلم مثل هذه الصفة حتى مع المسيء لهم، ومن تلك الروايات:

- روي عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم : ((لَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ فَتَكُوْنَ مِثْلَهُ))(٣٨).

- وعنه صلى الله عليه وآله وسلم : ((الْمَكْرُ وَالْخَدِيْعَةُ وَالْخِيَانَةُ فِيْ النَّارِ))(٣٩).

- روي عن الإمام علي عليه السلام : ((جَانِبُوْا الْخِيَانَةَ؛ فَإِنَّهَا مُجَانِبَةُ الْإِسْلَامِ))(٤٠).

- روي عن الإمام الصادق عليه السلام : ((يُجْبَلُ الْمُؤْمِنُ عَلَى كُلِّ طَبِيْعَةٍ إِلَّا الْخِيَانَةَ وَالْكَذِبَ))(٤١).

فإنَّ هذه الروايات وغيرها من الروايات المتعددة تؤكد أهمية أنْ يجتنب المسلمون هذه الصفات المذمومة التي لها أثر على العقيدة والتربية، والمجاهدون في سبيل الله هم أَوْلى من غيرهم في التحلي بذلك.

ثم التحذير من الغدر والذي يعد من أقبح الصفات التي لها آثار سيئة على الإنسان في الدنيا والآخرة.

- روي عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم : ((إِذَا جَمَعَ اللهُ الْأَوَّلِيْنَ وَالْآخَرِيْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرْفَعُ لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ. فَقِيْلَ: هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانٍ ٱبْنِ فُلَانٍ))(٤٢).

---

(٣٨) بحار الأنوار، الشيخ محمد باقر المجلسي، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م) ج٧١ ص١٠٤.

(٣٩) مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، الميرزا حسين النوري، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، (الناشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط٢، بيروت، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م). ج١٤ ص١٢ باب (تحريم الخيانة) الحديث ١.

(٤٠) غرر الحكم ودرر الكلم ١٨٦.

(٤١) الاختصاص، الشيخ محمد بن محمد بن النعمان المفيد، (مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط١، ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م) ص٢٢٦.

- روي عن الإمام علي عليه السلام : ((إِيَّاكَ وَالْغَدْرَ فَإِنَّهُ أَقْبَحُ الْخِيَانَةِ، وَإِنَّ الْغَدُوْرَ لَمُهَانٌ عِنْدَ اللهِ بِغَدْرِهِ))[٤٣].

- وعنه عليه السلام : ((الْغَدْرُ بِكُلِّ أَحَدٍ قَبِيْحٌ، وَبِذُوْ الْقُدْرَةِ وَالسُّلْطَانِ أَقْبَحٌ))[٤٤].

فهذه الروايات إجمالًا وغيرها تؤكد ضرور تجنب هذه الصفة، وعد التفكير بها مهما كانت الظروف.

فالمرجعية في توجيهاتها تحاول التأكيد في ذلك على ضرورة ترسيخ مبادىء الشريعة المقدسة في جوانبها الإنسانية المختلفة، الدالة على أهمية الحفاظ على الفطرة الإلهية، وعدم الانقياد إلى النفس الأمارة، وتسويلات الشيطان وأباطيله، وهذا ما دلت عليه بالقول: ((فَمَنْ تَعَرَّضَ لِحُرُمَاْتِهِمْ كَانَ خَائِنًا غَادِرًا، وَإِنَّ الْخِيَانَةَ وَالْغَدْرَ لَهِيَ أَقْبَحُ الْأَفْعَالِ فِيْ قَضَاءِ الْفِطْرَةِ وَدِيْنِ اللـهِ سُبْحَانَهُ)).

٣- التأكيد على مراعاة حقوقهم وحفظها.

إنَّ حفظ الحقوق ومراعاتها من أهم تعاليم الشريعة المقدسة، وقد تقدم بعض ما يتعلق بذلك في المورد الأول، وفيما يتعلق بالمخالفين في العقيدة أو القومية فالشريعة قد حثت على وجوب مراعاة تلك الحقوق وعم التعدي عليها بحجج واهية، منا رأينا ما قام به كيان داعش الإرهابي آنذاك، ويجب أنْ يكون المجاهدون على وعي تامٍّ من محاولات تسويلات الشيطان في التعدي عليهم؛ بكونهم من ديانات أخرى، فالتعايش السلمي من ضروريات الدعوة الإسلامية والإنسانية، وهذا ما جسَّده النظام

---

(٤٢) كنز العمال ج٣ ص٥١٧.

(٤٣) غرر الحكم ودرر الكلم ص٩٥.

(٤٤) ميزان الحكمة، محمد الريشهري، تحقيق: دار الحديث، (ط٢، مط دار الحديث، قم، ١٤١٦هـ) ج٥ ص٢٢٣١.

الإسلامي في تشريعاته من خلال القرآن الكريم، والروايات الشريفة، إذ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِيْ سَبِيْلِ الله فَتَبَيَّنُوْا وَلَا تَقُوْلُوْا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُوْنَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾(٤٥) وقد ذكر المفسرون أنَّ ﴿السَّلَامَ﴾ في الآية يراد بها الذين لم يتعرَّضوا إليكم في قتال(٤٦)، بل حتى لو كان أولئك المجرمون ينتمون إلى هذه المدن التي تم تحريرها من قبل المجاهدين، أو أنَّ هذه العوائل لها علاقة بأتباع الإرهابيين فلا مبرر للاعتداء عليهم كما تقدم، حيث قال تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾(٤٧)، ومن أعظم ما ورد في ذلك عن الإمام السجاد عليه السلام في رسالته للحقوق بقوله: ((وَأَمَّا حَقُّ أَهْلِ الذِّمَّةِ فَالْحُكْمُ فِيْهِمُ أَنْ تَقْبَلَ مِنْهُمُ مَا قَبِلَ اللهُ وَتَفِيْ بِمَا جَعَلَ اللهُ لَهُمْ مِنْ ذِمَّتِهِ وَعَهْدِهِ، وَتُكَلِّمُهُمْ إِلَيْهِ فِيْمَا طَلَبُوْا مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأُجْبِرُوْا عَلَيْهِ، وَتَحْكُمُ فِيْهِمْ بِمَا حَكَمَ اللهُ بِهِ عَلَى نَفْسِكَ فِيْمَا جَرَى بَيْنِكَ [وَبَيْنَهُمْ] مِنْ مُعَامَلَةٍ، وَلْيَكُنْ بَيْنَكَ وَبَيْنَ ظُلْمِهِمْ مِنْ رِعَايَةِ ذِمَّةِ الله وَالْوَفَاءِ بِعَهْدِهِ وَعَهْدِ رَسُوْلِهِ صلى الله عليه وآله حَائِلٌ فَإِنَّهُ بَلَغَنَا أَنَّهُ قَالَ: "مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا كُنْتُ خَصْمَهُ"))(٤٨).

---

(٤٥) سورة النساء: الآية ٩٤.

(٤٦) ينظر: التبيان في تفسير القرآن، الشيخ محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق وتصحيح: أحمد حبيب قصير العاملي، (مط مكتبة الإعلام الإسلامي، قم، ط١، ١٤٠٩هـ) ج٥ ص٢٩٨ ، التفسير الكبير ج١١ ص١٨٩.

(٤٧) سورة الإسراء: الآية ١٥.

(٤٨) الصحيفة السجادية ورسالة الحقوق، الإمام علي بن الحسين السجاد عليه السلام، تقديم: السيد محمد باقر الصدر، (مط رسول، ط١، قم، ١٤٢٦هـ٢٠٠٦م) ص٣١٤-٣١٥.

وهناك فتاوى وبيانات للمرجعية متعددة في ذلك، تؤكد المنهج السوي التام المنبثق من تعاليم الشريعة الإسلامية المقدسة(٤٩).

وهذا ما تجلى بأبهى صوره في توجيهات المرجعية بالقول: ((بَلْ لَا يَنْبَغِيْ أَنْ يَسْمَحَ الْمُسْلِمُ بِانْتِهَاكِ حُرُمَاتِ غَيْرِ الْمُسْلِمِيْنَ مِمَّنْ هُمْ فِيْ رِعَايَةِ الْمُسْلِمِيْنَ، بَلْ عَلَيْهِ أَنْ تَكُوْنَ لَهُ مِنَ الْغِيْرَةِ عَلَيْهِمْ مِثْلَ مَا يَكُوْنُ لَهُ عَلَى أَهْلِهِ)).

٤- التأسِّي بسيرة الإمام علي عليه السلام.

إنَّ التوجيهات بضرورة التأسي بالإمام علي عليه السلام ظاهرة جليَّة، وقد تقدَّم ما يتعلق بذلك وأهميته، فضلًا عمَّا هو واضح البيان والدلالة والاستشهاد من كلامه عليه السلام في هذه الفقرة من توجيهات المرجعية ((وَقَدْ جَاءَ فِيْ سِيْرَةِ أَمِيْرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام أَنَّهُ لَمَّا بَعَثَ مُعَاوِيَةُ .... اَغْتَمَّ أَمِيْرُ الْمُؤْمِنِيْنَ عليه السلام مِنْ ذَلِكَ غَمًّا شَدِيْدًا)).

(٤٩) ينظر: الآثار الإنسانية للمرجعية الدينية في الدفاع عن المسيحيين وغيرهم من الديانات والأقليات، عماد الكاظمي، (دار الرافد، قم المقدسة، ط١، ١٤٤٢هـ ٢٠٢١م).

* **المورد الثالث:**

((وَاحْرِصُوْا أَعَانَكُمُ اللهُ عَلَى أَنْ تَعْمَلُوْا بِخُلُقِ النَّبِيِّ وَأَهْلِ بَيْتِهِ "صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ" مَعَ الْآخَرِيْنَ فِيْ الْحَرْبِ وَالسِّلْمِ جَمِيْعًا، حَتَّى تَكُوْنُوْا لِلْإِسْلَامِ زَيْنًا، وَلِقِيَمِهِ مَثَلًا، فَإِنَّ هَذَا الدِّيْنَ بُنِيَ عَلَى ضِيَاءِ الْفِطْرَةِ، وَشَهَادَةِ الْعَقْلِ، وَرَجَاحَةِ الْأَخْلَاقِ، وَيَكْفِيْ مُنَبِّهًا عَلَى ذَلِكَ أَنَّهُ رَفَعَ رَايَةَ التَّعَقُّلِ وَالْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ، فَهُوَ يَرْتَكِزُ فِيْ أُصُوْلِهِ عَلَى الدَّعْوَةِ إِلَى التَّأَمُّلِ وَالتَّفْكِيْرِ فِيْ أَبْعَادِ هَذِهِ الْحَيَاةِ وَآفَاقِهَا، ثُمَّ الاعْتِبَارُ بِهَا، وَالْعَمَلُ بِمُوجِبِهَا، كَمَا يَرْتَكِزُ فِيْ نِظَامِهِ التَّشْرِيْعِيِّ عَلَى إِثَارَةِ دَفَائِنِ الْعُقُوْلِ، وَقَوَاعِدِ الْفِطْرَةِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾، وَقَالَ أَمِيْرُ الْمُؤْمِنِيْنَ عليه السلام: (فَبَعَثَ -اللَّهُ- فِيهِمْ رُسُلَهُ، وَوَاتَرَ أَنْبِيَاءَهُ إِلَيْهِمْ لِيسْتَأْدُوْهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ، وَيُذَكِّرُهُمْ مَنْسِيَّ نِعْمَتِهُ، وَيَحْتَجُّوْا عَلَيْهِمْ بِالتَّبْلِيْغِ، وَيُثِيْرُوْا لَهُمْ دَفَائِنَ الْعُقُوْلِ)، وَلَوْ تَفَقَّهَ أَهْلُ الْإِسْلَامِ وَعَمِلُوْا بِتَعَالِيْمِهِ لَظَهَرَتْ لَهُمُ الْبَرَكَاتُ، وَعَمَّ ضِيَاؤُهَا فِيْ الْآفَاقِ، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّشَبُّثَ بِبَعْضِ مَا تَشَابَهَ مِنَ الْأَحْدَاثِ وَالنُّصُوْصِ، فَإِنَّهَا لَوْ رُدَّتْ إِلَى الَّذِيْنَ يَسْتَنْبِطُوْنَهُ مِنَ أَهْلِ الْعِلْمِ -كَمَا أَمَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ- لَعَلِمُوْا سَبِيْلَهَا وَمَغْزَاهَا))[٥٠].

إنَّ ما ورد في هذه الفقرة من التوجيهات المباركة مهمة جدًّا وتحتاج إلى بحث ودراسة دقيقة منفصلة؛ لما فيها من موضوعات إنسانية متعددة تؤكد مقام النظام الإسلامي، وأبعاده الكبيرة في بناء الإنسان والحفاظ عليه، وصيانة كرامته، وبيان دوره

(٥٠) الفقرة السابعة عشرة من نصائح وتوجيهات المرجعية الدينية للمقاتلين.

الكبير في بناء المجتمع والحفاظ على مقدساته، ولكن بإيجاز أذكر أهم ما فيها بالموضوعات الخمسة الآتية:

١- الحث على التمسك بأخلاق النبي وأهل بيته عليهم السلام وآثار ذلك.

إنَّ هذه الدعوة المباركة في توجيهات المرجعية الدينية إنما هي امتداد وثيق لما جاءت به توصيات الأئمة عليهم السلام في أحاديثهم المتعددة إلى شيعتهم ومواليهم، ففي حديث عن الإمام الصادق عليه السلام يحث شيعته على الدعوة إليهم بالحسنى والعمل الصالح يقول: ((مَعَاشِرَ الشِّيْعَةِ كُوْنُوْا لَنَا زَيْنًا، وَلَا تَكُوْنُوْا عَلَيْنَا شَيْنًا، قُوْلُوْا لِلنَّاسِ حُسْنًا، اِحْفَظُوْا أَلْسِنَتِكُمْ، وَكُفُّوْهَا عَنِ الْفُضُوْلِ، وَقَبِيْحِ الْقَوْلِ))[٥١]،

وفي هذه الوصية منه للشيعة بيان واضح على أهمية التمسك بهذه الأخلاق الفاضلة، التي تدل على مقام التربي والتكامل الشخصي والنوعي للأمة.

بل هناك من الروايات التي تؤكّد على أنَّ الناس تنظر إلى المؤمنين على قدر انتسابهم إلى الشريعة المقدسة، وتمسكهم بتعاليمها، وأثر ذلك في الدعوة إلى الخير والصلاح، ففي الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام: ((يَا مَعَاشِرَ الشِّيْعَةِ إِنَّكُمْ قَدْ نُسِبْتُمْ إِلَيْنَا، كُوْنُوْا لَنَا زَيْنًا، وَلَا تَكُوْنُوْا عَلَيْنَا شَيْنًا))[٥٢]، فعلينا التأمل بقوله: (يَا مَعَاشِرَ الشِّيْعَةِ إِنَّكُمْ قَدْ نُسِبْتُمْ إِلَيْنَا) ففي هذا الانتساب مسؤولية كبيرة؛ فضلًا عن عظمته وشرفه، وما يجب على الشيعة من العلم والعمل من أجل الحفاظ على هذا التشريف وحسن أداء هذا التكليف.

---

(٥١) الأمالي، الشيخ محمد بن علي الصدوق، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، (ط١، مؤسسة البعثة، قم، ١٤١٧هـ) ص٤٨٤.

(٥٢) مشكاة الأنوار في غرر الأخبار، الشيخ أبو الفضل علي الطبرسي، تحقيق: مهدي هوشمند، (دار الحديث، ط١، ١٤١٨هـ، د.م) ص١٣٤.

إنَّ هذين الحديثين وغيرهما من الأحاديث المتعددة عن الأئمة عليهم السلام توجِبُ على المؤمنين أنْ يكونوا أهلًا لهذا الانتماء المقدَّس، وما رأيناه من مواقف عظيمة للمجاهدين في أرض المعركة وبعدها لهي –حقيقة– صور مشرقة تؤكد مدي تمسكهم بتعاليم الشريعة الإسلامية المقدسة، ومبادئها وقِيَمِها الإنسانية، ونصائح وتوجيهات المرجعية الدينية، وستبقى شاهدًا على مقامهم، ومنزلتهم، وشرف آنتمائهم إلى المقدسات؛ لتكون درسًا للأجيال عن أداء أولئك المجاهدين رسالتهم في هذه المرحلة من تاريخ العراق المعاصر، فكانوا مصداقًا حقيقيًّا لما ورد في هذه الفقرة من التوجيهات بالقول: ((وَٱحْرِصُوْا أَعَانَكُمُ اللهُ عَلَى أَنْ تَعْمَلُوْا بِخُلُقِ النَّبِيِّ وَأَهْلِ بَيْتِهِ "صَلَوَاتُ الله عَلَيْهِمْ" مَعَ الْآخَرِيْنَ فِيْ الْحَرْبِ وَالسِّلْمِ جَمِيْعًا، حَتَّى تَكُوْنُوْا لِلْإِسْلَام زَيْنًا، وَلِقِيَمِهِ مَثَلًا)).

وقد أكدت المرجعية في توجيهاتها على التمسك بالأخلاق الفاضلة في فقرات أخرى، فقد ورد في الفقرة العشرين القول: ((وَعَلَى الْجَمِيْعِ أَنْ يَدَعُوْا الْعَصَبِيَّاتِ الذَّمِيْمَةَ، وَيَتَمَسَّكُوْا بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، فَإِنَّ اللهَ جَعَلَ النَّاسَ أَقْوَامًا وَشُعُوْبًا لِيَتَعَارَفُوْا، وَيَتَبَادَلُوْا الْمَنَافِعَ، وَيَكُوْنَ بَعْضُهُمْ عَوْنًا لِلْبَعْضِ الْآخِرِ، فَلَا تَغْلِبَنَّكُمُ الْأَفْكَارُ الضَّيِّقَةُ، وَالْأَنَانِيَّاتُ الشَّخْصِيَّةُ، وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا حَلَّ بِكُمْ، وَبِعَامَّةِ الْمُسْلِمِيْنَ فِيْ سَائِرِ بِلَادِهِمْ)).

٢- بيان عظمة النظام الإسلامي وكماله التربوي.

إنَّ توجيهات المرجعية الدينية في هذا المقطع من الفقرة تناولت موضوعات ثلاثة مهمة، بل تعد دعائم أساسية لمنظومة عقائدية متكاملة في الشريعة الإسلامية المقدسة، تحتاج التفكُّر بها، ورعاية حدودها والعمل بعد معرفتها، وضرورة تعليم

الناس إياها في كونها تمثل النظام الأكمل لسعادة البشرية كُلِّها عن العقيدة القائمة على العلاقة بين الخالق والمخلوق، وهي:

أ- الفطرة.

وقد أشار القرآن الكريم إلى بيان ما يتعلق بها من حيث الإيمان الفطري للإنسان بوجود خالق للكون يجب الإذعان إليه، فالفطرة كما ورد في بيانها: ((وفطرة الله هي ما ركز في من قوته على معرفة الإيمان، وهو المشار إليه بقوله: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾[٥٣]))[٥٤]، وفطرة الله التي فطر الناس عليها هي التوحيد ومعرفته كما ورد في روايات متعددة، ففي الحديث عن هشام بن سالم عن الإمام الصادق عليه السلام: ((قالَ: قلتُ: ﴿فِطْرَةَ اللهِ الَّتِيْ فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾[٥٥]؟ قالَ: التَّوْحِيْدُ))[٥٦]، وفي حديث عبد الله بن سنان عن الإمام الصادق عليه السلام: ((قالَ: سَأَلْتُهُ عَنْ قَوْلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فِطْرَةَ اللهِ الَّتِيْ فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ مَا تِلْكَ الْفِطْرَةُ؟ قَالَ: هِيَ الْإِسْلَامُ، فَطَرَهُمُ اللهُ حِيْنَ أَخَذَ مِيْثَاقَهُمْ عَلَى التَّوْحِيْدَ، قَالَ: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾[٥٧] وَفِيْهِ الْمُؤْمِنُ وَالْكَافِرُ))[٥٨]، وفي كُلِّ ذلك إشارة إلى المنهج الإنساني المشترك بين جميع البشر في الدعوة إلى الله.

---

(٥٣) سورة الزخرف: الآية ٨٧.

(٥٤) المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، ضبط: هيثم طعيمي، (ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٨م) ص٣٨٢.

(٥٥) سورة الروم: الآية ٣٠.

(٥٦) الكافي ج٢ ص١٢، باب (فطرة الخلق على التوحيد) الحديث ١.

(٥٧) سورة الأعراف: الآية ١٧٢.

(٥٨) الكافي ج٢ ص١٢، باب (فطرة الخلق على التوحيد) الحديث ٢.

ب- العقل.

إنَّ الدين الإسلامي قائم على تأييد العقل للفطرة الإنسانية، وعدم مخالفته لبديهيات العقل، والعقل سبيل لمعرفة الخالق ووجوده وتوحيده، وقد بيَّن القرآن الكريم في كثير من الموارد أثر العقل في الوصول إلى معرفة الحقيقة وتحديدها، فضلًا عن ٱستعمال النص القرآني للألفاظ التي تشير إلى معنى العقل وإدراكاته، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيْكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُوْنَ﴾(٥٩)، والروايات الشريفة تظهر مقام العقل وآثاره في طاعة الله تعالى والإذعان إلى تعاليمه، ففي الحديث عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم: ((سَيِّدُ الْأَعْمَالِ فِيْ الدَّارَيْنِ الْعَقْلُ، وَلِكُلِّ شَيْءٍ دُعَامَةٌ، وَدُعَامَةُ الْمُؤْمِنِ عَقْلُهُ، فَبِقَدَرِ عَقْلِهِ تَكُوْنَ عِبَادَتُهُ لِرَبِّهِ))(٦٠)، وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام: ((عَلَيْكَ بِالْعَقْلِ فَلَا مَالَ أَعْوَدَ مِنْهُ))(٦١)، ورسالة الإمام الكاظم عليه السلام إلى تلميذه هشام بن الحكم في العقل تعد من أعظم تراث المسلمين(٦٢)، وكُلُّ ذلك وغيره هي إشارة جلية إلى تأكيد المنهج العقلي في الدعوة إلى الله وموافقته للفطرة الإنسانية.

ت- الأخلاق.

إنَّ تربية الإنسان وسعيه نحو كماله من أهم ما تدعو إليه الشريعة المقدسة، والقرآن الكريم قد ذكر موضوعات تربوية كثيرة لها أثر عظيم في تربية الفرد والمجتمع، بل هي من مكارم الأخلاق التي تحقق للبشرية سعادتها، وقد ضرب الله

---

(٥٩) سورة الروم: الآية ٢٤.

(٦٠) بحار الأنوار ج١ ص٩٦.

(٦١) غرر الحكم ودرر الكلم ص٢٥٤.

(٦٢) ينظر: الكافي ج١ ص١٣-١٩، كتاب (العقل والجهل) الحديث ١٢.

تعالى في ذلك أعظم المثل في بيان ما اتصف به خاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وآله وسلم مخاطبًا إياه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾(٦٣)، وغيرها من الآيات المباركة، وقد أكدت الروايات الشريفة أهمية التمسك بالأخلاق، بل بمكارمها، فحسن الخلق قرين الإنسان المؤمن، وهو ما تدعو إليه الشريعة المقدسة، ففي الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((حُسْنُ الْخُلُقِ نِصْفُ الدِّيْنِ))(٦٤)، وهذا يؤكد بأجلى صوره علاقة الدين بالأخلاق وتماسكهما، إذ بالأخلاق الفاضلة يمكن للإنسان أنْ يؤدي رسالته في المجتمع، ويؤثِّر بهم، ففي الحديث عن الإمام علي عليه السلام: ((مَنْ حَسُنَتْ خَلِيْقَتُهُ طَابَتْ عِشْرَتُهُ))(٦٥)، وفي كُلِّ ذلك إشارة إلى المنهج الأخلاقي في الدعوة إلى الله.

إنَّ هذه المنظومة الثلاثية (الفطرية والعقلية والأخلاقية) هي من أهم ما يجب على المسلمين أنْ يكونوا عليها، ويدعوا إليها، وكُلُّ دعوة تخالفها فهي دعوة على غير هدًى، ولو أننا تأملنا في تلك الدعوات المزيفة لكيان داعش لرأينا مخالفتها لأدنى قِيَم ومبادىء كُلِّ هذه المنظومة، بل تجلت في أولئك المجاهدين المخلصين الذين لبَّوا نداء المرجعية في الدفاع عن المقدسات، فكانوا مصداقًا في التمسك بالدعوة إلى ذلك ((فَإِنَّ هَذَا الدِّيْنَ بُنِيَ عَلَى ضِيَاءِ الْفِطْرَةِ، وَشَهَادَةِ الْعَقْلِ، وَرَجَاحَةِ الْأَخْلَاقِ، وَيَكْفِيْ مُنَبِّهًا عَلَى ذَلِكَ أَنَّهُ رَفَعَ رَايَةَ التَّعَقُّلِ وَالْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ، فَهُوَ يَرْتَكِزُ فِيْ أُصُوْلِهِ عَلَى الدَّعْوَةِ إِلَى التَّأَمُّلِ وَالتَّفْكِيْرِ فِيْ أَبْعَادِ هَذِهِ الْحَيَاةِ وَآفَاقِهَا، ثُمَّ الاعْتِبَارُ بِهَا، وَالْعَمَلُ بِمُوجِبِهَا)).

(٦٣) سورة القلم: الآية ٤.

(٦٤) الخصال، الشيخ محمد بن علي الصدوق، (مط الحيدرية، النجف، ١٣٩١هـ١٩٧١م، د.ط) ص٣٠.

(٦٥) ميزان الحكمة ج٣ ص١٠٧٣.

٣- التأكيد على المنهج التأملي للعقل وموافقته لتعاليم الشريعة المقدسة والفطرة الإنسانية.

إنَّ هذه الدعوة وضرورة التأمل فيها توجِب بيان مقام المنهج التأملي في آيات الله تعالى بصورة عامة الدالة على وجوده ومقامه وآثار ذلك في العقيدة، والتأمل بعظمة النظام الإسلامي وما تضمَّنه من تعاليم إنسانية لها آثارها الكبيرة في التكامل الإنساني، حيث التوافق بين العقل الواعي المنزَّه عن الشكوك والشبهات وبين الفطرة السليمة، وقد تقدم بيان ذلك في الفقرة السابقة، ولكن المرجعية الدينية تحاول التركيز والتأكيد على ضرورة أنْ يكون الإنسان على بينة من معرفة أصول عقيدته التي يؤمن بها، ويضحي في سبيلها، وهذا ظاهر في القول: ((فَهُوَ يَرْتَكِزُ فِيْ أُصُوْلِهِ عَلَى الدَّعْوَةِ إِلَى التَّأَمُّلِ وَالتَّفْكِيْرِ فِيْ أَبْعَادِ هَذِهِ الْحَيَاةِ وَآفَاقِهَا، ثُمَّ الاعْتِبَارُ بِهَا، وَالْعَمَلُ بِمُوجِبِهَا، كَمَا يَرْتَكِزُ فِيْ نِظَامِهِ التَّشْرِيْعِيِّ عَلَى إِثَارَةِ دَفَائِنِ الْعُقُوْلِ، وَقَوَاعِدِ الْفِطْرَةِ)).

٤- ضرورة التعرُّف على أحكام النظام الإسلامي وأهمية التمسك به.

إنَّ معرفة الأحكام الشرعية لها أثر كبير في عدم التعدي على الحرمات والحدود، حيث معرفة الواجبات والمحرمات وغيرهما، وخصوصًا في مثل هذه الظروف المتعلقة بالحرب وأحكام الحرب الخاص بمحاربة أهل القبلة من البغاة، وإنَّ هذه المعرفة تجنِّب المقاتلين الوقوع في الإشكالات أو المخالفات الشرعية لا سمح الله، فالحرب قائمة من أجل الدفاع عن المقدسات، ولا بد أنْ يكون المدافعون على وعي تام بأحكامها، وهذا الوعي لا يمكن الوصول إليه إلا من خلال الرجوع إلى تلك الأحكام الفقهية الخاصة، التي يبيِّنها المرجع بالرجوع إليه، ولقد كان لطلبة الحوزة العلمية وجود كبير في جبهات القتال، والمواقع المختلفة تلبية لنداء المرجعية في الدفاع الكفائي من جهة، وتوعية لعقيدة المجاهدين وأحكامهم من جهة أخرى، فضلًا

عن الدعم المعنوي الكبير الدال على قدسية المواجهة، ولقد كانت هناك فتاوى متعددة تتعلق بما يحتاجه المجاهدون، يرجعون إليه في معرفة أحكام دينهم، فالفقه طريق الوصول إلى طاعة الله ورضوانه، وعدم التعدي على الحقوق والحرمات، وهذا ما تؤكده التوجيهات في هذه الفقرة بالقول: ((وَلَوْ تَفَقَّهَ أَهْلُ الْإِسْلَامِ وَعَمِلُوْا بِتَعَالِيْمِهِ لَظَهَرَتْ لَهُمُ الْبَرَكَاتُ، وَعَمَّ ضِيَاؤُهَا فِيْ الْآفَاقِ)).

٥- التحذير من مخالفة النظام باتباع الأهواء.

إنَّ من أهم أسباب الاختلاف بين أبناء الأمة الواحدة هو الابتعاد عن حقيقة الطاعة والامتثال لأوامر المشرِّع كما يجب، وإنما محاولة التفكير كما يفهم المكلَّف وليس كما يريد المكلِّف وهو المولى، وقد أحدث هذا التفكير كُلَّ الانشقاقات بين المسلمين مثلًا، بل الحروب والدماء التي تمت إراقتها إلى يومنا الحاضر، فما يريد أنْ يفهمه أتباع الكيان الإرهابي داعش عن مفهوم الدولة والحكم هو المفهوم نفسه الذي كان عند الداعين والمؤسسين لتلك الحروب الثلاث الكبيرة (الناكثين والقاسطين والمارقين) والتي كان كبار القائمين على مواجهة علي الحق من الذين رؤوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم وسمعوه، وشهدوا مواقفه تجاه الإمام علي عليه السلام المتعددة، وأنصتوا إلى وصاياه في محبته ونصرته وموالاته، ولكنهم مع كُلِّ ذلك وقفوا يحاربونه في حروب هي الأشد والأفجع في تاريخ المسلمين، وبقيت فجائعها العقدية وظلالها إلى اليوم، لذلك أعقب هذا الانقلاب الذي أشار إليه القرآن الكريم الاختلافات والانشقاقات الكبيرة في الأمة الإسلامية وظهور مختلف الفِرَق، والذي كان أساسه التحريف الأول لمفهوم الخلافة والإمامة، حيث يصف لنا هذا الانقلاب الشهرستاني (ت٥٤٨هـ/١١٥٣م) بقوله: ((وَأَعْظَمُ خِلَافٍ فِيْ الْأُمَّةِ خِلَافَ الْإِمَامَةِ، إِذْ مَا سُلَّ سَيْفٌ

فِيْ الْإِسْلَامِ عَلَى قَاعِدَةٍ دِيْنِيَّةٍ مِثْلَمَا سُلَّ عَلَى الْإِمَامَةِ فِيْ كُلِّ زَمَانٍ))[٦٦]، وهذا من أهم الأسباب التي أدت بهذا الكيان الإرهابي أنْ يسفك الدماء، وينتهك الأعراض، ويقتل المسلمين الأبرياء بتأويلات واهية فاسدة، والمرجعية الدينية ضمن توجيهاته الإرشادية والإصلاحية تحذِّر المقاتلين من هذا المنهج، وتؤكد على ضرورة الرجوع إلى الذين أمر الله تعالى بالرجوع إليهم، بعيدًا عن العاطفة أو التعصب الأعمى، وهو ما أكده القرآن الكريم في أسس نظامه الإسلامي الذي لا يقبل الخلاف والاختلاف، قال تعالى على سبيل المثال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾[٦٧]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ * بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٦٨]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾[٦٩].

فهل يُعقل أنْ الله تعالى يؤسس نظامًا لحياة الأمة ويأمرها بالطاعة إلى (الله والرسول وأولي الأمر)، ولم يبيِّن لهم مَنْ هم أولوا الأمر؟

أو أنْ يأمرهم بالرجوع إلى (أهل الذكر) عند الجهل، ولم يبيِّن لهم مَنْ هؤلاء الذين هم أهل الذكر؟!

---

(١) الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، (دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٤هـ، د.ط) ص٢٥.

(٦٧) سورة النساء: الآية ٥٩.

(٦٨) سورة النحل: الآيتان ٤٣-٤٤.

(٦٩) سورة النساء: الآية ٨٣.

أو يأمرهم بالرجوع عند الاختلاف إلى (الرسول وأولي الأمر الذين يستنبطونه)، ويترك الأمة بلا إرشاد إلى معرفة أولئك الذين يستنبطونه؟!

ولأجل عدم الوقوع في مثل تلك الانحرافات العقدية فقد حذرت المرجعية من ذلك بالقول: ((وَإِيَّاكُمْ وَالتَّشَبُّثَ بِبَعْضِ مَا تَشَابَهَ مِنَ الْأَحْدَاثِ وَالنُّصُوْصِ، فَإِنَّهَا لَوْ رُدَّتْ إِلَى الَّذِيْنَ يَسْتَنْبِطُوْنَهُ مِنَ أَهْلِ الْعِلْمِ -كَمَا أَمَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ- لَعَلِمُوْا سَبِيْلَهَا وَمَغْزَاهَا)).

خاتمة المطاف:

١ – إنَّ النظام الإسلامي قد أثبت في جميع فقرات قوانينه موافقته للفطرة الإنسانية، وأنه لا يبتغي سوى تحقيق سعادة الإنسان وكماله، سواء في حالات الرخاء أو الشدة، والسلم أو الحرب، وقد ٱفترق عن الأنظمة الوضعية في ذلك بموارد كثيرة.

٢ – لقد تأكد أنَّ المرجعية على مدى تاريخها كان حصنًا للأمة من كُلِّ ٱنحراف، وقد بذل الأعلام جهودًا كبيرة من أجل الحقوق العامة للأمة، وكرامتها.

٣– لقد ٱستطاعت المرجعية الدينية من خلال هذه التوجيهات أنْ تؤكد دعمها وتأييدها ووقوفها مع المقاتلين في دفاعهم عن المقدسات، ووضع الأسس العامة للحفاظ على قدسية قتالهم، وتحصينهم عن الوقوع في أي نوع من المحرمات التي قد تواجههم في المعركة.

٤ – إنَّ هذه التوصيات المتعددة في فقراتها، والمختلفة في موضوعاتها إنما تأسس للمسلمين إجمالًا الأخلاق الإسلامية والتربوية للمقاتلين من جهة، وللأمة من جهة أخرى بما يؤكد كرامة الإنسان ووجوب الحفاظ عليه.

٥ – أوصي بضرورة تدريس هذه الوصايا والتوجيهات في كليات العلوم العسكرية؛ ليكونوا على بينة مما دعا إليه النظام لإسلامي في تربية المقاتلين، والأخلاق الخاصة التي يجب أنْ يكونوا عليها، والتي هي مفقودة في الغالب للأسف.

٦ – أوصي بأهمية ترجمة هذه الوصايا إلى لغات عالمية متعددة، وإهدائها إلى المراكز البحثية المتخصصة؛ للإفادة منها تارة؛ والاطلاع على عظمة النظام الإسلامي تارة أخرى.

٧- أوصي بأهمية عقد ندوات في المراكز البحثية التخصصية في العالم، وبيان الصورة الحقيقية للنظام الإسلامي، والتي حاول كيان داعش الإرهابي وغيره تشويهها إعلاميًّا.

٨- أوصي بضرورة عقد دراسات مقارنة بين ما ورد من هذه التوصيات للمرجعية الدينية وما ورد من مواد قانونية للمنظمات العالمية المختصة بالحروب والسلم وما يتعلق بذلك، مع التركيز على الجانب الإنساني في الحرب عند المسلمين.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- المؤلفات المطبوعة:

١- الآثار الإنسانية للمرجعية الدينية في الدفاع عن المسيحيين وغيرهم من الديانات والأقليات، عماد الكاظمي، (دار الرافد، قم المقدسة، ط١، ١٤٤٢هـ ٢٠٢١م).

٢- الاختصاص، الشيخ أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان المفيد (ت٤١٣هـ/١٠٢٢م)، (مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط١، ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م).

٣- الأمالي، الشيخ محمد بن علي بن الحسين بن بابويه الصدوق (ت٣٨١هـ/٩٩١م)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، (ط١، مؤسسة البعثة، قم، ١٤١٧هـ).

٤- بحار الأنوار، الشيخ محمد باقر المجلسي (ت١١١٠هـ/١٦٩٩م)، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م).

٥- التبيان في تفسير القرآن، الشيخ محمد بن الحسن الطوسي (ت٤٦٠هـ/١٠٦٨م)، تحقيق وتصحيح: أحمد حبيب قصير العاملي، (مط مكتبة الإعلام الإسلامي، قم، ط١، ١٤٠٩هـ).

٦- الخصال، الشيخ أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه الصدوق (ت٣٨١هـ/٩٩١م)، (مط الحيدرية، النجف، ١٣٩١هـ١٩٧١م، د.ط).

٧- شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام، نجم الدين أبو القاسم نجم الدين جعفر بن الحسن المحقق الحلي (ت٦٧٢هـ/١٢٧٣م)، تعليق: السيد صادق الشيرازي، (دار القارىء، بيروت، ط١١، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م).

٨- الصحيفة السجادية ورسالة الحقوق، الإمام علي بن الحسين السجاد عليه السلام، تقديم: السيد محمد باقر الصدر، (مط رسول، ط١، قم، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٦م).
٩- غرر الحكم ودرر الكلم، عبد الواحد الآمدي التميمي (ق٥ هـ)، تحقيق: السيد مهدي الرجائي، مطبعة ستار، الناشر دار الكتاب الإسلامي، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م.
١٠- الكافي، الشيخ محمد بن يعقوب الكليني (٣٢٩هـ/٩٤١م)، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، (دار الكتب الإسلامية، طهران، ط٣، ١٣٨٨هـ).
١١- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علاء الدين علي بن حسام الدين المتقي الهندي (ت٩٧٥هـ/١٥٦٦م)، ضبطه: الشيخ بكري حياني، صححه: الشيخ صفوة السقا، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م، د.ط)
١٢- مجمع البيان في تفسير القرآن، الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت٥٤٨هـ/١١٥٣م) تحقيق: لجنة من العلماء والمحققين، تق: السيد محسن الأمين العاملي، (مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م).
١٣- مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، الميرزا حسين النوري (ت١٣٢٠هـ/١٩٠٢م)، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، (الناشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط٢، بيروت، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م).
١٤- مشكاة الأنوار في غرر الأخبار، الشيخ أبو الفضل علي الطبرسي (ت ق٧)، تحقيق: مهدي هوشمند، (دار الحديث، ط١، ١٤١٨هـ، د.م).
١٥- مفاتيح الغيب، محمد بن عمر بن الحسين الفخر الرازي (ت٦٠٦هـ/١٢٠٩م): ، (ط١، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ ١٩٨١م).

١٦- المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، (ت٥٠٢هـ/١١٠٨م)، ضبط: هيثم طعيمي، (ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٨م).

١٧- الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني (ت٥٤٨هـ/١١٥٣م)، (دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٤هـ، د.ط).

١٨- المواقف المشتركة لعلماء العراق وإيران ضد الغزو الأجنبي للبلاد الإسلامية ١٩٠٥-١٩٢٠م دراسة تاريخية وثائقية، الدكتور كامل سلمان الجبوري، مجمع الذخائر الإسلامية، قم، ط١، ٢٠١٤م.

١٩- ميزان الحكمة، محمد الريشهري (ت١٤٤٣هـ/٢٠٢٢م)، تحقيق: دار الحديث، (ط٢، مط دار الحديث، قم، ١٤١٦هـ).

٢٠- نهج البلاغة، محمد بن الحسين الشريف الرضي، (ت٤٠٦هـ/١٠١٥م): شرح: محمد عبده، (مط الاستقامة، مصر، د.ط، د.ت)

٢١- وسائل الشيعة، الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي (ت١١٠٤هـ/١٦٩٣م)، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، (مط ستارة، قم، ١٤١٦هـ، قم).

- البحوث والدراسات:

١- آداب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وتعاليمه في الغزوات، مجلة دراسات تربوية، جامعة السليمانية، كلية العلوم الإسلامية، تشرين الأول ٢٠١٧م، المجلد ١٠، العدد ٤٠.

٢- أخلاقيات أمير المؤمنين عليه السلام في الحرب والقانون الدولي –قراءة معاصرة–، د. كاظم جواد المنذري، مجلة الكلية الإسلامية الجامعة، ٢٠١٥م، المجلد ٣، العدد ٢٣.

٣– مشروعية ٱستخدام القوة –دراسة في ضوء الشريعة الإسلامية وأحكام ميثاق الأمم المتحدة–، د. حيدر كاظم عبد علي و د. عبد الزهرة جاسم الخفاجي، مجلة الكلية الإسلامية الجامعة، النجف الأشرف، ٢٠١٥م، العدد ٣٦، ص١٩٩–٢٠١.

- **المواقع الإلكترونية:**

موقع السيد السيستاني www.sistani.org

الفهرس

مقدمة	٣
تمهيد: المرجعية الدينية ودورها في حفظ المقدسات	٧
* المورد الأول	١١
١ – حفظ حقوق الناس عامة	١١
٢ – مراعاة حقوق المستضعفين	١٤
٣– التأكيد على سيرة الإمام علي عليه السلام في التعامل معهم	١٨
* المورد الثاني	٢٥
١ – الحفاظ على أتباع الديانات الأخرى	٢٦
٢ – بيان آثار التعرض بأذى لأتباع الديانات	٢٧
٣– التأكيد على مراعاة حقوقهم وحفظها	٢٩
٤ – التأسِّي بسيرة الإمام علي عليه السلام	٣١
* المورد الثالث	٣٢
١ – الحث على التمسك بأخلاق النبي وأهل بيته عليهم السلام وآثار ذلك	٣٣
٢ – بيان عظمة النظام الإسلامي وكماله التربوي	٣٤
أ– الفطرة	٣٥
ب– العقل	٣٦
ت– الأخلاق	٣٦
٣– التأكيد على المنهج التأملي للعقل وموافقته لتعاليم الشريعة المقدسة والفطرة الإنسانية	٣٨

٤ – ضرورة التعرُّف على أحكام النظام الإسلامي وأهمية التمسك به	٣٨
٥ – التحذير من مخالفة النظام باتباع الأهواء	٣٩
خاتمة المطاف	٤٢
قائمة المصادر والمراجع	٤٥
الفهرس	٤٩
ملحق	٥١

ملحق

نصائح وتوجيهات للمقاتلين في س ×

www.sistani.org/arabic/archive/25034/

نصائح وتوجيهات للمقاتلين في ساحات الجهاد

إصدار مكتب سماحة السيد السيستاني دام ظله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله الطيبين الطاهرين .

أما بعد : فليعلم المقاتلون الأعزّة الذين وفّقهم الله عزّ وجلّ للحضور في ساحات الجهاد وجبهات القتال مع المعتدين:

1 . أنّ الله سبحانه وتعالى . كما ندب الى الجهاد ودعا إليه وجعله دعامةً من دعائم الدين وفضّل المجاهدين على القاعدين . فإنّه عزّ اسمه جعل له حدوداً وآداباً أوجبتها الحكمة واقتضتها الفطرة، يلزم تفقّهها ومراعاتها، فمن رعاها حقّ رعايتها أوجب له ما قدّره من فضله وسنّه من بركاته، ومن أخلّ بها أحبط من أجره ولم يبلغ به أمله .

2 . فالجهاد آدابٌ عامّة لابدّ من مراعاتها حتى مع غير المسلمين، وقد كان النبيّ (صلّى الله عليه وآله) يوصي بها أصحابه قبل أن يبعثهم إلى القتال ، فقد صحّ عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنّه قال : (كان رسول الله – صلّى الله عليه وآله . إذا أراد أن يبعث بسريّة دعاهم فأجلسهم بين يديه ثم يقول

توجيهات السيد السيستاني للمقاتلين !!

الإثنين 15 أكتوبر 2018 - 04:12 بتوقيت غرينتش

العراق - الكوثر: لاقت الوصايا والتوجيهاتُ العشرون التي أوصى بها المرجعُ الدينيّ الأعلى سماحة آية الله السيد السيستاني (دام ظلّه الوارف) لمقاتلي فتوى الدّفاع المقدّسة، إقبالاً واسعاً واهتماماً لاقتنائها من قبل الحاضرين في المؤتمر الذي أقامته العتبتان المقدّستان الحسينيّة والعبّاسية في مبنى الأمم المتّحدة.

النسخُ من هذه الوصايا تمّت طباعتُها وترجمتُها في العتبة العبّاسية المقدّسة، وإخراجُها على شكل كتيّبٍ جُمِعَت فيه هذه الوصايا التي أصبحت دستوراً ومنهجاً قويماً لسلوك قوّاتنا الأمنيّة والحشد الشعبيّ، فترجموها على أرض الواقع حتّى تحقّق النصر على عصابات داعش الإرهابيّة.

ولكون أنّ المؤتمر قد شهد حضوراً لشخصيّاتٍ من ديانات مختلفة، كانت الفرصةُ سانحةً من أجل التعريف بهذه الوصايا من خلال هذا

نصائح وتوجيهات المرجعية الدينية للمقاتلين والمواقف الإنسانية

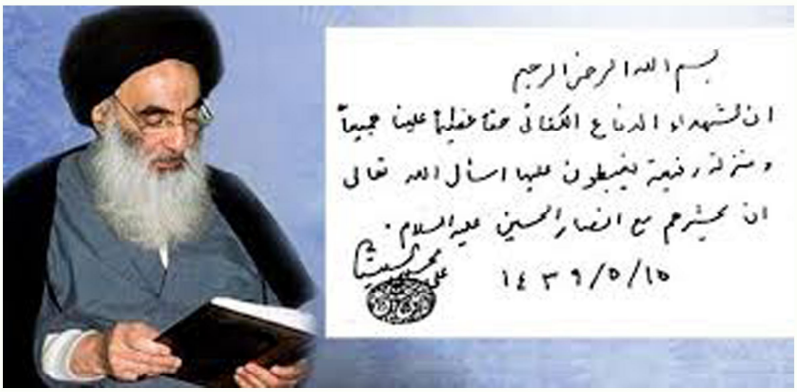

إنَّ المتتبع في تحليل نصوص هذه التوجيهات وما فيها من أحكام ووصايا وتحذير، وبيان الآثار الكبيرة في الالتزام بتعاليم الشريعة المقدسة؛ ليرى جليًّا مدى موافقة تعاليم النظام الإسلامي للعقل والفطرة في التأكيد على مقام الإنسان وحفظ كيانه، وتستحق أنْ تُعنى بالبحوث والدراسات والندوات، وهذه الصفحات الموجزة محاولة في بيان زاوية من زواياها المشرقة التي لها آثارها الإنسانية التي تفقدها الحروب عامة، ولكن النظام الإسلامي وضمن دعوته العالمية في الرحمة الإلهية، فقد أسس لذلك تعاليم صريحة ظاهرة في إمكانية التكامل الإنساني في أصعب الظروف ومنها الحرب، وكان لهذه التوجيهات دور كبيرة في إحياء الروح الإنسانية للمقاتلين ..

العتبة العلوية المقدسة
للتأليف والتحقيق والنشر